

دروس من الهجرة

المرجع الديني الراحل
آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى

٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ

تتميش

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر
بيروت لبنان ص ب ٥٩٥٥ / ١٣ شوران

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إِنَّ الَّذِیْنَ آمَنُوا

وَالَّذِیْنَ هَاجَرُوا

وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ

أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّٰهِ

وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِیْمٌ

صدق الله العلي العظيم

سورة البقرة: الآية ٢١٨

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً
وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾.

لقد تعرضت البشرية منذ الزمن الغابر وإلى يومنا هذا لهزات عنيفة وبلاءات شتى، كادت أن تقضي على هذا الكائن الحي الذي هو خليفة الله في أرضه، وللأسف بسبب ظلم وانحراف وعصيان الإنسان نفسه.

ولكن الباري جل وعلا وبِعنايته ولطفه منّ على الإنسان بإرسال الرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) مبشرين ومنذرين وموضحين طريق الحق والصواب، والخير والفضيلة. فلولا هؤلاء العظماء المصلحين وخاتمهم وسيدهم وسيد الكائنات، الرسول الأعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) لكانت الأرض قفراء خربة مجدبة لاتستحق العناية الإلهية واللطف الرباني...

هؤلاء المصلحون وهم الأنبياء والأوصياء □ والأولياء والمؤمنون هم الذين حفظوا للإنسانية كرامتها وجعلوا عناية السماء محيطة بها على طول مسيرة الإنسان في هذه المعمورة... فتعرضوا لشتى أنواع الظلم والاضطهاد، من قتل وتعذيب وتهجير وتشريد على يد الظلمة والجباة الذين ابتلى الأنبياء والأولياء □ بمعاصرتهم في طوال مسيرة التاريخ البشري.

واختلفت صور ظلم هؤلاء الطواغيت لكن القاسم المشترك بينهم هو تصديهم ومحاربتهم لكل ما هو خير، والقضاء على كل من هو مصلح ومنقذ للبشرية، حتى كادت البشرية أن تعيش ظلاماً دامساً بسبب الابتعاد عن أوامر الباري عزوجل. إلى أن بُعث أشرف الكائنات وسيدها النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) فجاء بدعوته السمحاء لينقذ البشرية من

(١) سورة النحل: ٤١ - ٤٢.

الظلمات ويستنقذها من العمى والضلال إلى نور الهداية...

فجوبه (صلى الله عليه وآله) بألوان العذاب والأذى والاضطهاد بشتى أنواعه حتى قال (صلوات الله عليه وآله): «ما أودى نبي مثلما أوديت»^(٢). وكان من أشد الظالمين له (صلى الله عليه وآله) ولأهل بيته □ ولأصحابه زعماء قريش وجبايرتها وأعوانهم... مما أدى به (صلى الله عليه وآله) أن يأمر أصحابه بأن يتركوا وطنهم وأرضهم ويهاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة. وهذا الرأي الحكيم الذي اتخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت الغاية منه أولاً الحفاظ على أرواح أتباعه من المسلمين من بطش طواغيت مكة وجبايرتها كأبي جهل وأممية بن خلف وأبي سفيان ومن أشبهه، وثانياً يكون هؤلاء المهاجرون دعاة لنشر الفكر السماوي والمنهج الرباني، وربما يصلح مكان هجرتهم ليكون القاعدة القوية لنشر الدين الحنيف كما حدث في المدينة المنورة الأرض الطيبة التي احتضنت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ودعوته الكريمة، إلى غير ذلك من الفوائد...

ففائدة الهجرة كبيرة جداً لمن يستثمرها ويستغلها بحسب المقاييس والضوابط الشرعية وفيما ينفع في سبيل الأمل المنشود وهو بناء الأمة الإسلامية الواحدة غير المجزأة، وإن كان يشوبها . أي الهجرة . بعض المخاطر، ويحيط بها بعض الصعاب، لكن يمكن الاستفادة من دروسها وعبرها لغاية أكبر ومصلحة أشمل.

وفي هذا الكتاب يبين لنا الإمام الشيرازي (أعلى الله درجاته) كيف يمكن أن نوظف إمكانياتنا في المهجر وبلاد الغربية، عبر الاستفادة من دروس الماضي وحياة الأماجد من المسلمين، الذين هاجروا وهجروا في سبيل الله وضحوا بكل شيء من أجل كلمة التوحيد وإعلائها في أرجاء المعمورة. ومن هؤلاء الكرام جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) الذي هو من أوائل المهاجرين المسلمين إلى الحبشة، المشهور بحنكته السياسية وأخلاقه الفاضلة وإيمانه العميق التي جعلت من ملك الحبشة أن يكون له خير عون وسند في غربته.

كما يوضح الإمام الراحل (أعلى الله درجاته) للإخوة المهجرين والمهاجرين الخطوط العريضة في الاستفادة من الاغتراب والهجرة، كي يكونوا دعاة لهذا الدين الحنيف، وسبباً في نشر المذهب الحق مذهب أهل البيت □.

(٢) المناقب: ج ٣، ص ٢٤٧. فصل في مساواته يعقوب ويوسف □.

رجوع إلى القائمة

وقد كان الإمام الشيرازي P سبّاقاً في تذليل الصعاب أمام المؤمنين المهجّرين والمغتربين الذين عاش بينهم ...

هذا ونظراً لما نشعر به من مسؤولية كبيرة في نشر مفاهيم الإسلام الأصيلة قمنا بطبع ونشر هذه السلسلة القيمة من المحاضرات الإسلامية لسماحة المرجع الراحل P . التي منها هذا الكتاب . والتي ألقاها في فترات زمنية مختلفة في العراق والكويت وإيران تزيد على أربعة عقود من الزمن ..

نرجو من المولى العلي القدير أن يوفقنا لإعداد ونشر ما يتواجد منها، وأمثلاً بالسعي من أجل تحصيل المفقود منها وإخراجه إلى النور، لنتمكن من نشر سلسلة إسلامية كاملة ومختصرة تنقل للأمة وجهة نظر الإسلام تجاه مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية الحيوية بأسلوب واضح وبسيط.. إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبي للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص.ب: ٥٩٥٥ / ١٣

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.
قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ (٣).

وتفسير الآية المباركة هكذا: ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله ﴿يَا عِبَادِ﴾ وأصله يا عبادي ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فعل ماضي ﴿اتَّقُوا﴾ أيها الناس ﴿رَبَّكُمْ﴾ أي: خافوا عقابه، فلا تخالفوا أوامرهم، فإنه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ في العقيدة والعمل ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ المراد بها الجنس، فإن اتباع مناهج الله سبحانه، يوجب الغنى والصحة والأمن والعلم والفضيلة وسائر الخيرات، كما دل عليه الدليل والتجارب ﴿و﴾ إذا رأيتم أنكم لا تتمكنون من الإتيان بالطاعة في مكان فهاجروا، ف﴿أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ إلى حيث تتمكنون من أن تحسنوا هناك، وحيث إن الهجرة توجب أتعباً فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُؤْتِي﴾ يعطى وافيّاً ﴿الصَّابِرُونَ﴾ في الشدائد ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فإنه لكثرتة لا يتمكن الإنسان من عدده، وإن كان بقدر معلوم عند الله (٤).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا﴾ ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ

(٣) سورة الزمر: ١٠.

(٤) انظر تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٢٣ ص ١٤٩ سورة الزمر.

يُذِرْكَهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴿٥﴾.

وفي هذه الآية المباركة يتوجه الخطاب إلى طائفة أخرى من القاعدين عن الهجرة الذين لم يعدهم الله الحسنی، بل وعدهم العذاب لأنهم هم السبب في ظلم الكفار لهم وهضمهم حقوقهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي تقبض الملائكة أرواحهم، فإن ملك الموت أعواناً كما ورد في الروايات الشريفة، ودلت عليه هذه الآية، ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: في حال كونهم ظالمين لأنفسهم، لأنهم بقوا في دار الهوان حيث يسومهم الكفار العذاب ويمنعونهم من الإيمان بالله والرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد كان بإمكان هؤلاء أن يهاجروا إلى دار الإيمان ويؤمنوا، ولعل الآية أعم منهم ومن المؤمنين الذين بقوا في دار الكفر ولا يتمكنون من إظهار واجبات الإسلام والعمل بما أوجبه الله سبحانه ﴿قَالُوا﴾ أي: قالت الملائكة لهم عند قبض أرواحهم: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم من أمر دينكم، وهو استفهام تقريرية تويخي ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ليستضعفنا أهل الشرك في بلادنا فلا يتركونا لأن نؤمن، أو لا يتركونا لأن نعمل بالإسلام ﴿قَالُوا﴾ أي: قالت الملائكة لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً﴾ حتى تخرجوا من سلطنة الكفار، وتتمكنوا من الإسلام أو من العمل بشرائعه. ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الذين سبق وصفهم ﴿مَأْوَاهُمْ﴾ مرجعهم ومحلهم ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: أنها مصير سيئ لعذابها وأهوالها.

ثم استثنى سبحانه من هؤلاء من لا يتمكن من الهجرة فإنه ليس مكلفاً، وإنما أمره إلى الله تعالى ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الذين استضعفهم الكفار في بلادهم ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ العجزة ﴿وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ وهاتان الطائفتان في طبيعتهم العجز عن الفرار والهجرة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي: علاجاً لأمرهم وفكاً لأنفسهم عن سلطة المشركين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ للفرار والهجرة، ﴿فَأُولَئِكَ﴾ العاجزون من المستضعفين ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ أي: لعل الله سبحانه يغفر لهم ذنبهم، ودخول عسى في مثل هذه الآية للدلالة على كون الأمر بيد الله سبحانه، وأنه كان قادراً على أن يأمرهم بما يجرهم من وجوب خروجهم وإظهار دينهم وإن بلغ لهم الأمر ما بلغ.

لا يقال: إن كان المراد بالمستضعفين الكفار فكيف يعفى عن الكفر؟

لأنه يقال: الدليل العقلي والنقلي قد دل على امتحان الضعفاء والعجزة والبله ومن إليهم

في الآخرة، وذلك بخلاف الكافر المعاند الذي مصيره النار حتماً.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا﴾ يعفو عمن يشاء ﴿غَفُورًا﴾ يغفر الذنوب، ولعل الفرق بين العفو والغفران أن العفو غفران بلا ستر، والغفران عفو مع الستر، فإن عدم العقاب لا يلازم الستر. وقد يمنع عن الهجرة خوف أن لا يجد الإنسان في محله الجديد ما يلائم مسكنه ومكسبه، ولكنه ليس إلا توهمًا؛ فإن الأرض واسعة والكسب ممكن في كل مكان ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لأمره سبحانه ومن أجله ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا﴾ المرغم مصدر بمعنى المتحول، وأصله من الرغام وهو التراب^(٦) ﴿وَسَعَةً﴾ أي في الكسب وسائر شؤون الحياة. ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا﴾ يهاجر وطنه ومحله، ويقطع عنه ﴿إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ والهجرة إلى الله أي: إلى محل أمره، والهجرة إلى الرسول إما حقيقي كما في زمان حياته (صلى الله عليه وآله)، وإما مجازي كما إذا هاجر إلى بلاد الإسلام حسب أمر الرسول ﴿ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾ أي: يموت في طريقه ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ لأنه خرج في سبيله وحسب أمره فأجره وثوابه عليه سبحانه ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يغفر ذنوب المهاجر ﴿رَحِيمًا﴾ يرحمه بإعطائه الثواب، وفي الحديث: «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض، استوجب الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد (صلى الله عليه وآله)»^(٧).

وقد ورد في بعض التفاسير أن السبب في نزول هذه الآية أنه لما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين كان بمكة يسمى (جندب بن ضمرة) فقال: والله ما أنا مما استثنى الله، إني لأجد قوة، وإني لعالم بالطريق، وكان مريضاً شديداً المرض، فقال لبيته: والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها، فإني أخاف أن أموت فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات، فنزلت الآية^(٨).

(٦) انظر لسان العرب: ج ١٢ ص ٢٤٥ مادة (رغم).

(٧) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج ١ ص ٣٣ باب السفر والسير والفراق والقدوم والوداع.

(٨) انظر تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان): ج ٥ ص ٨٤ سورة النساء. وانظر بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣٠ ب ٦.

مدرسة الهجرة

بعد ما ذكرنا بعض التوضيح للآيات الشريفة، والتي موضوعها الهجرة وما يحيط بها، نقول: إن الحياة مدرسة زاخرة بالدروس التي تمد الإنسان بمختلف أسباب التقدم والكمال، ومن هذه الدروس درس (الهجرة)^(٩)، فعلى الإنسان المسلم أن يستفيد من هذا الدرس،

(٩) هجر: الهجرُ: ضد الوصل، هَجَرَ يَهْجُرُهُ هَجْرًا وَهَجْرَانًا: صَرَمَهُ، وَهِيَ يَهْتَجِرَانِ وَيَتَهَاجِرَانِ، وَالاسْمُ الْهَاجِرَةُ. يقال: هَجَرْتُ الشَّيْءَ هَجْرًا إِذَا تَرَكْتَهُ وَأَغْفَلْتَهُ، وَهَجَرَ فُلَانٌ الْبَيْتَ هَجْرًا وَهَجْرَانًا وَهَاجِرَةً حَسَنَةً. وَالْهَاجِرَةُ وَالْمُهَاجِرَةُ: الخروج من أرض إلى أرض.

والمهاجرون: الذين ذهبوا مع النبي (صلى الله عليه وآله)، مشتق منه. وَتَهَجَّرَ فُلَانٌ أَي: تشبه بالمهاجرين. قال الأزهري: وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدین، يقال: هاجر الرجل إذا فعل ذلك، وكذلك كل مُخْلِ بِمَسْكِنِهِ مُنْتَقِلٌ إِلَى قَوْمٍ آخَرِينَ بِسُكْنَاهُ، فَقَدْ هَاجَرَ قَوْمَهُ. وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومسكنهم التي نشئوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة؛ فكل من فارق بلده من بدويٍّ أو حضريٍّ، وسكن بلدًا آخر، فهو مهاجرٌ، والاسم منه الهجرة.

وقال الجوهري: الهجرتان هجرة إلى الحبشة وهجرة إلى المدينة، والمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية. وإذا أطلق ذكر الهجرتين فإنما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة. وَهَجَرَ الشَّيْءَ وَأَهْجَرَهُ. تَرَكَهُ، وَهَجَرَ الرَّجُلُ هَجْرًا إِذَا تَبَاعَدَ وَنَأَى. وقيل: الهجر من الهجران، وهو ترك ما يلزمك تعاهده، وهجر في الصوم يهجر هجرانًا: اعتزل فيه النكاح. ولقيته عن هجر أي: بعد الحول ونحوه؛ وقيل: الهجر السنَّة فصاعدًا، وقيل: بعد ستة أيام فصاعدًا، وقيل: الهجر المغيب أيًا كان. انظر لسان العرب: ج ٥ ص ٢٥٠ مادة «هجر».

وانظر مجمع البحرين: ج ٣ ص ٥١٤ مادة «هجر».

مادة: هجر، في قوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ سورة المزمل: ١٠، الهجر الجميل: أن يخالفهم بقلبه وهواه ويؤالفهم في الظاهر بلسانه ودعوته إلى الحق بالمدارة، وترك المكافاة.

وفي قوله تعالى: ﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ سورة المؤمنون: ٦٧، هو من الهجر، وهو الهديان و«تهجرون» من الهجر أيضا، وهو الإفحاش في المنطق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أي: تركوا بلادهم، ومنه المهاجرون؛ لأنهم هاجروا بلادهم و تركوها و صاروا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكل من هجر بلده لغرض ديني من طلب علم أو حج أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة، أو زهدا في الدنيا فهي هجرة إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وآله).

ويوظفه لصالحه ولصالح مجتمعه.

وكما أن الإنسان يواجه في الهجرة المتاعب والآلام الكثيرة من ترك الوطن والأهل والشعور بالغربة ونحو ذلك، إلا أنه في مقابل ذلك يجني فوائد عظيمة، حيث ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق»^(١٠).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ليس في الغربة عار إنما العار في الوطن الافتقار»^(١١). وهذا بالإضافة إلى الثواب الأخروي العظيم الذي سوف يناله نتيجة هجرته في سبيل الله تعالى، بنص القرآن الكريم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوِّنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١٢). فإن الذين هاجروا من ديارهم فراراً بدينهم، وإتباعاً لنبينهم، من بعد أن ظلمهم قومهم وآذوهم وبخسوهم حقوقهم، فإن الله تعالى يبوئهم في الدنيا حسنة، والتبوء الإحلال بالمكان للمقام، يقال: تبوأ منزلاً يتبوأ إذا اتخذ، وبوأه غيره تبويئاً إذا أحله غيره^(١٣).

لذا فإن الهجرة تعتبر مدرسة تعلم الإنسان المهاجر الصبر والشجاعة من خلال إقدامه على تحمل المعاناة، وكيفية التكيف مع الظروف المحيطة به من فقر وقلة ناصر ومعين، ونحو ذلك. وفي نفس الوقت تحفظ نفس الإنسان ودينه وماله من بطش الظلمة وطغيانهم الذين

أما قوله تعالى: ﴿مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ سورة العنكبوت: ٢٦، أي: من كوثي، وهو من سواد الكوفة إلى حوران من أرض الشام ثم منها إلى فلسطين، و كان معه في هجرته لوط وامرأته سارة.

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ سورة الحشر: ٩، أي: من غير بلدهم.

وفي الحديث: «لا هجرة فوق ثلاث» الهجر ضد الوصل، يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير تقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان في جانب الدين، فإن هجرة الأهواء والبدع دائمة على ممر الأوقات ما لم تظهر التوبة. انتهى.

والهجرة باقية مادام الشرك قائماً، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»، وما روي من قوله (صلى الله عليه وآله):

«لا هجرة بعد الفتح» معناه: لا هجرة بعد الفتح فضلها كفضل الهجرة قبل الفتح، وقيل المراد لا هجرة بعد الفتح من مكة، لأنها صارت دار إسلام. انظر السرائر: ج ٢ ص ١٥ أحكام الهجرة من بلاد الكفار.

(١٠) من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ١٥٦ باب المعاش والمكاسب ح ٣٥٧١.

(١١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٦٥ ق ٥ ب ٣ الفصل ١ ح ٨٢٣١.

(١٢) سورة النحل: ٤١.

(١٣) انظر التبيان في تفسير القرآن: ج ٦ ص ٢٨٣ سورة النحل.

ترك بلده بسببهم مضافاً إلى ما يقوم المهاجر بتبليغ دينه في أرض المهجر.

الهجرة وتقسيماتها

للهجرة معان متعددة من أهمها:

- ١: الهجرة المكانية، وهو الخروج من أرض إلى أخرى.
- ٢: الهجرة من السيئات والخروج من ذل معصية الله إلى عزّ طاعته. كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «اهجروا الشهوات فإنها تقودكم إلى ركوب الذنوب والتهجم على السيئات»^(١٤).

وبحثنا هنا يدور حول القسم الأول من الهجرة، أي: (الهجرة المكانية)، أما الهجرة من السيئات فهي مما لا تختص بزمان أو مكان، وإنما تتعلق بالإنسان المؤمن مادام حياً، وأينما كل وحلّ، بل إن ذلك من مقومات شخصية المؤمن، وكما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لكميل بن زياد: «يا كميل، قل الحق على كل حال، وواد المتقين، واهجر الفاسقين، وجانب المنافقين ولا تصاحب الخائنين»^(١٥).

من أسباب الهجرة

إن الهجرة المكانية تحصل لأسباب عديدة منها:

١. الظلم.
٢. التبليغ.
٣. الجهاد.
- ونحو ذلك.

وللهجرة المكانية مصاديق متعددة في الخارج، وخير مصداق نستشهد به هو هجرة المسلمين إلى الحبشة، وكذلك هجرتهم الثانية إلى المدينة المنورة، ونستخلص من هاتين الهجرةين الدروس الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الكثيرة، ولعل دراستها والاستفادة منها في وقتنا الحاضر تعيننا أكثر على فهم ظروفنا الحالية وطريقة معالجتها، خصوصاً بعد أن عادت اليوم الجاهلية إلى الناس، ولكن بأسلوب جديد يكاد

(١٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٠٥ ق ٣ ب ٣ الفصل ٥ ح ٦٩٧٢.

(١٥) بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٤١٥ ب ١٥ ح ٣٨.

يكون أكثر خطورة من ذي قبل، فكثرت الضغوط على المسلمين، ومن جميع الاتجاهات، ونشبت الحروب المدمرة في البلاد الإسلامية، وكثر القتل والسبي والنهب في صفوف المسلمين من قبل الحكام الظلمة وعملاء الغرب والشرق، وأنشئت السجون والمعتقلات الرهيبة، وانتشر الظلم والفساد في المنطقة، مما أدى إلى ازدياد أعداد المهاجرين والمهجرين والمشردين من أرض الوطن الإسلامي إلى شتى بقاع العالم^(١٦)، وما أحوج المسلمين اليوم إلى الدروس العظيمة التي أفرزتها هجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمسلمين، وأساليبهم المبتكرة في التغلب على الأوضاع الصعبة التي عاشوها، وكيفية تعاملهم مع الأعداء الذين أحاطوا بهم.

المسلمون الأوائل وقريش

كان المسلمون في بادئ الأمر فئة قليلة مستضعفة من الناحية العددية والاقتصادية

(١) في بعض التقارير: إن اللاجئين يمثلون نسبة واحد من بين كل (٢٥٥ شخصا) على اتساع رقعة العالم إضافة إلى وجود ما يناهز (٣٠ مليون) من النازحين داخلياً أي في نطاق حدود أوطانهم. ولا يخفى أن عدد اللاجئين المذكور أعلاه يشمل المسجلين لدى الصليب الأحمر الدولي فقط ولا يشمل ما يزيد عليه من اللاجئين أو المهجرين الذين لم يتسن لهم. أو لم يستطيعوا التسجيل في مراكز الصليب الأحمر والمنظمات الأخرى التابعة للأمم المتحدة كالهلال الأحمر وما أشبهه.

وأوضح التقرير أن أفريقيا تعد أكثر قارات العالم اكتظاظاً باللاجئين؛ إذ يبلغ عددهم حوالي (٥٧ مليون) لاجئ إضافة إلى ما يناهز (١٣ مليون) نازح مقابل (١٣ مليون) لاجئ و(١٦ مليون) نازح في أوروبا.

وجاء في التقرير أيضاً: إن العالم شهد في تسعينيات القرن الماضي حالة من خيبة الأمل في الانتقال إلى مرحلة جديدة تتراجع فيها النزاعات، بل أصابته حالة من الفوضى اندلعت فيها الحروب الأهلية والصراعات الطائفية والعرقية، التي حفلت بالانتهاكات، وامتدت الصراعات المسلحة من أفريقيا وآسيا وأمريكا إلى أوروبا لتضيف أعداداً جديدة من اللاجئين والنازحين وصلت إلى أرقام مهولة.

وأشار التقرير إلى أن الصراع المسلح أصبح حالياً هو القوة المحركة وراء معظم تدفقات اللاجئين ولم تعد تحركات اللاجئين بمثابة أثر جانبي للصراع بل صارت في كثير من الأحيان عنصراً أساسياً من عناصر الحرب واستراتيجيتها، مؤكدة أنه لا تستطيع المنظمات الإنسانية وحدها حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تؤدي إلى النزوح.

وفي تقرير آخر ذكر أن آخر إحصائية صدرت من الأمم المتحدة تقول: أن عدد المشردين في العالم يبلغ حوالي (٧٠) مليون و(٨٠٠) ألف نسمة، ولا يخفى بأن نسبة المسلمين المشردين من هذا العدد أكثر من غيرها من الطوائف والأديان الأخرى.

والعسكرية مقارنة بقريش وسائر الكفار؛ حيث كانت قريش تمتلك قوة اقتصادية هائلة في مكة، ولها تحالفات تجارية قوية مع أغلب القبائل العربية، وتملك أراض واسعة وسلطاناً مترامياً الأطراف، تنطوي تحت لوائه قبائل عربية كبيرة ذات سطوة وهيبة كبيرتين مقارنة بغيرها، فضلاً عن العنجهية والتكبر المتمثلين بجاهلية قريش.

كل هذه العوامل والأسباب جعلت قريشاً تعلن الحرب ضد الإسلام، وحاولت إخماد جذوة هذا الدين الفتي الذي تتعارض تعاليمه السمحاء مع مصالح قريش الدنيوية وجاهليتهم واستكبارهم واستبدادهم، فسارعوا إلى محاربة كل من يؤمن بهذا الدين أو يمت له بصلة، ومارسوا بحق أتباعه شتى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، ابتداءً بتسخيف هذا الدين واتهام صاحبه (صلى الله عليه وآله) بالسحر أو الجنون، وانتهاء بترويح الإشاعات الباطلة بشرعية هذا الدين، وما إلى ذلك من أساليب العاجزين، فقال تبارك وتعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١٧﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿١٨﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وِلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿١٩﴾ وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٠﴾﴾ (١٧).

وفي هذا المعنى قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره، ويكنفني إلى فراشه، ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يمسح الشيء ثم يلقمني، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله) من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله) فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟

فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست

بنبي. ولكنك لوزير وإنك لعلی خير.

ولقد كنت معه (صلى الله عليه وآله) لما أتاه الملاء من قريش، فقالوا له: يا محمد، إنك قد ادعيت عظيماً لم يدعه أبؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أنت أجبتنا إليه وأرئتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب.

فقال (صلى الله عليه وآله): وما تسألون؟

قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك.

فقال (صلى الله عليه وآله): إن الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون

وتشهدون بالحق؟

قالوا: نعم.

قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القلب، ومن يحزب الأحزاب، ثم قال (صلى الله عليه وآله): يا أيها الشجرة، إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أني رسول الله، فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله. فو الذي بعثه بالحق، لانقلعت بعروقها وجاءت، ولها دوي شديد وقصف كقصف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرفرفة، وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه (صلى الله عليه وآله).

فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا: علواً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها.

فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشده دويًا، فكادت تلتف برسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقالوا: كفراً وعتواً: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره (صلى الله عليه وآله) فرجع.

فقلت أنا: لا إله إلا الله، فإني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى، تصديقاً بنبوتك، وإجلالاً لكلمتك.

فقال القوم كلهم: بل ساحر كذاب، عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا - يعنوني - وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمار الليل ومنار النهار، متمسكون بجبل القرآن، يحيون سنن الله

وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل..»^(١٨).

وهكذا كانت قريش تتهم النبي (صلى الله عليه وآله) بالسحر والجنون وكانوا يمارسون القتل والتعذيب بحق أتباعه، كما أعلنوا المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية بوجههم، بحيث لم يتعاملوا معهم ببيع أو شراء أو زواج أو أي نوع من أنواع التعامل، وبالمقابل حاولوا إغراء الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والمسلمين بالسلطة والمال للعدول عن دينهم ومعتقدهم، فاستخدموا أسلوب التهيب والترغيب في الضغط على المسلمين ولكن قوة الإيمان والاعتقاد هي التي حالت دون ذلك.

صحيفة قريش

لقد عانى رسول الله (صلى الله عليه وآله) المصاعب الجمة في سبيل هداية قومه من قريش وغيرهم، ولاقى منهم ما لاقى من المؤامرات تلو المؤامرات، وكان من أشدها وأشرسها على المسلمين عامة وعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) حصارهم في شعب أبي طالب (عليه السلام).

فعندما أسرى برسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى بيت المقدس، حمله جبرئيل على البراق فأتى به بيت المقدس وعرض عليه محارِب الأنبياء □ وصلى بهم وردة، فمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في رجوعه بعير لقريش وإذا لهم ماء في آنية فشرب منه واكفأ ما بقي، وقد كانوا أضلوا بعيراً لهم وكانوا يطلبونه، فلما أصبح قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقريش: «إن الله قد أسرى بي إلى بيت المقدس فأراني آيات الأنبياء ومنازلهم، وإني مررت بعير لقريش في موضع كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم، فشربت من مائهم وأهرقت باقي ذلك».

فقال أبو جهل: قد أمكنتم الفرصة منه، فسألوه كم فيها من الأساطين والقناديل؟ فقالوا: يا محمد، إن هاهنا من قد دخل بيت المقدس، فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاربيه؟

فجاء جبرئيل (عليه السلام) فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه، فجعل يخبرهم بما سألوه عنه.

(١٨) نهج البلاغة، الخطب: ١٩٢ من خطبة له (عليه السلام) تسمى القاصعة.

فلما أخبرهم قالوا: حتى يجيء العير نسألهم عما قلت.

فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): «تصديق ذلك أن العير يطلع عليكم عند طلوع الشمس يقدمها جمل أحمر عليه عزارتان».

فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون: هذه الشمس تطلع الساعة، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم العير حين طلوع القرص يقدمها جمل أحمر، فسألوهم عما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قالوا: لقد كان هذا، ضل لنا بعير، في موضع كذا وكذا، ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أريق الماء. فلم يزداهم ذلك إلا عتواً.

فاجتمعوا في دار الندوة وكتبوا بينهم صحيفة أن لا يواكلوا بني هاشم، ولا يكلموهم، ولا يباعدوهم، ولا يزوجوهم، ولا يتزوجوا إليهم، ولا يحضروا معهم، حتى يدفعوه إليهم ليقتلوه، وأنهم يد واحدة على محمد (صلى الله عليه وآله) ليقتلوه غيلة، أو صراحاً.

فلما بلغ ذلك أبا طالب (عليه السلام) جمع بني هاشم ودخل الشعب، وكانوا أربعين رجلاً، فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام، لئن شأكت محمداً شوكة لأثبن عليكم يا بني هاشم. وحصن الشعب، وكان يحرسه بالليل والنهار، فإذا جاء الليل يقوم بالسيف عليه ورسول الله مضطجع ثم يقيمه ويضطجعه في موضع آخر، فلا يزال الليل كله هكذا، ويوكل ولده وولد أخيه به يحرسونه بالنهار، وأصابهم الجهد، وكان من دخل من العرب مكة لا يجسر أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ومن باع منهم شيئاً انتهبوا ماله. وكان أبو جهل، والعاص بن وائل السهمي، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكة، فمن رأوه معه ميرة فهو أن يبيع من بني هاشم شيئاً، ويحذرونه إن باع شيئاً منهم أن ينهبوا ماله.

وكانت خديجة لها مال كثير فأنفقته على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشعب.

ولم يدخل في حلف الصحيفة مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد المطلب بن عبد مناف، وقال: هذا ظلم.

وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كل رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعلقوها في الكعبة، وتابعهم أبو لهب على ذلك.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخرج في كل موسم ويدور على قبائل العرب فيقول لهم: «تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب الله ربي وثوابكم على الله الجنة» وأبو لهب في أثره فيقول: لا تقبلوا منه فإنه ابن أخي وهو كذاب ساحر. فلم يزل هذه حاله فبقوا في الشعب أربع سنين لا يأمنون إلا من موسم إلى موسم، ولا يشترون ولا يبيعون إلا في الموسم.

وكان يقوم بمكة موسمان في كل سنة: موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكان إذا جاء الموسم تخرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون ثم لا يجسر أحد منهم أن يخرج إلى الموسم الثاني، فأصابهم الجهد وجاعوا.

وبعثت قريش إلى أبي طالب: ادفع إلينا محمداً لنقتله ونملكك علينا.

فقال أبو طالب (عليه السلام) قصيدته الطويلة، يقول فيها:

فلما رأيت القوم لا ود فيهم
وقد قطعوا كل العرى والوسائل
ألم تعلموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعني بقول الأباطل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثم اليتامى عصمة للأرامل
يطوف به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتهم وبيت الله نبى محمدا
ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع دونه
ونذهل عن أبنائنا والحلائل
لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد
وأحبيته حب الحبيب المواصل
وجدت بنفسى دونه وحميته
ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها
وشينا لمن عادى وزين المحافل
حليما رشيدا حازما غير طائش

يـوالـي إـلـه الحـق لـيـس بـمـاحـل
فأبـيـده رب العـبـاد بنـصـره

وأظـهـر دـيـنـا حـقـه غـيـر باطـل
فلما سمعوا هذه القصيدة آيسوا منه.

فلما أتى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشعب أربع سنين بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابة الأرض، فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله، ونزل جبرئيل (عليه السلام) على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره بذلك، فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا طالب.

فقام أبو طالب (عليه السلام) ولبس ثيابه ثم مشى حتى دخل المسجد على قريش وهم يجتمعون فيه، فلما بصروا به قالوا: قد ضجر أبو طالب وجاء الآن ليسلم ابن أخيه. فدنا منهم وسلم عليهم، فقاموا إليه وعظموه وقالوا: يا أبا طالب قد علمنا أنك أردت مواصلتنا والرجوع إلى جماعتنا، وأن تسلم إلينا ابن أخيك.

قال: والله ما جئت لهذا، ولكن ابن أخي أخبرني، ولم يكذبني: أن الله أخبره أنه بعث على صحيفتكم القاطعة دابة الأرض، فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله، فابعثوا إلى صحيفتكم فإن كان حقا فاتقوا الله وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرحم، وإن كان باطلا دفعته إليكم، فإن شئتم قتلتموه وإن شئتم استحيتموه.

فبعثوا إلى الصحيفة فأنزلوها من الكعبة وعليها أربعون خاتماً فلما أتوا بها نظر كل رجل منهم إلى خاتمه، ثم فكوها فإذا ليس فيها حرف واحد إلا: باسمك اللهم. فقال لهم أبو طالب: يا قوم اتقوا الله وكفوا عما أنتم عليه. فتنفرق القوم ولم يتكلم أحد منهم.

ورجع أبو طالب إلى الشعب وقال في ذلك قصيدته البائية التي أولها:

ألا من لهم آخر الليل منصب

وشعب القضاء من قومك المتشعب

وقد كان في أمر الصحيفة عبرة

متى ما يخبر غائب القوم يعجب

حما الله منها كفرهم وعقوقهم

وما نقموا من ناطق الحق معرب
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلا
ومن يخلق ما ليس بالحق يكذب
وأسمى ابن عبد الله فينا مصدقا
على سخط من قومنا غير معتب
فلا تحسبونا مسلمين محمدا
لذي عزة منا ولا متعزب
سـتمنعه منا يد هاشمية
مركبها في الناس خير مركب

وقال عند ذلك نفر من بني عبد مناف، وبني قصي، ورجال من قريش ولدتهم نساء بني هاشم منهم: مطعم بن عدي بن عامر بن لؤي، وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد، وأبو البختری ابن هشام، وزهير بن أمية المخزومي في رجال من أشرفهم: نحن براء مما في هذه الصحيفة. وقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل.

وخرج النبي (صلى الله عليه وآله) من الشعب ورهطه وخالطوا الناس، ومات أبو طالب (عليه السلام) بعد ذلك بشهرين وماتت خديجة □ بعد ذلك. وورد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمران عظيمان وجزع جزعا شديدا (١٩).

أهداف قريش

وكانت من أهداف قريش في هذه الأعمال وغيرها النقاط التالية:

- ١: الضغط على الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والمسلمين ليتكوا هذا الدين، ويعدلوا إلى ديانة قريش، إما بالترغيب أو التهيب، خصوصا وأنهم كانوا أقلية.
- ٢: حصر المسلمين بطائفة قليلة، ليحولوا دون انتشار الإسلام بين الناس، ففرضوا الحصار الشديد على المسلمين وحاولوا منع اختلاطهم بالناس، وخصوصاً القبائل العربية من غير قريش عند مجيئها إلى مكة.

(١٩) إعلام الوری بأعلام الهدى: ص ٤٩-٥٢ الركن الأول ب ٣ ف ٦، وانظر قصص الأنبياء للراوندي: ص ٣٢٥

الفشل الذريع

إلا أن جميع هذه التدابير فشلت فشلاً ذريعاً وذلك بفضل السياسة الحكيمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث استخدم أسلوب الهجرة لفك الحصار عن المسلمين، والانتشار في الأرض لإنقاذ المسلمين من الضغوطات أولاً، ولنشر الدين الإسلامي ثانياً. مضافاً إلى الإيمان القوي الذي كان يحمله المسلمون بحيث لم تؤثر فيهم كل تلك الضغوط من قتل وسبي ومقاطعة اقتصادية واجتماعية، بل ازدادوا إيماناً بالله تعالى ورسوله يوماً بعد يوم، وتمكنوا من التأثير على بعض الناس للدخول في الإسلام، ولذا فإنه وبالرغم من المحاصرة والمقاطعة أخذ هذا الدين بالتوسع والانتشار، فأعلنت قريش الحرب بصورة أشد وأوسع، وبدأت تزيد من ضغوطها، وأخذ القتل والتعذيب ينال كل من يعلن إسلامه، وأصبح الخطر يهدد جميع المسلمين في كل زمان ومكان، فأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) المسلمين بالسفر إلى الحبشة^(٢٠).

(٢٠) الحبشة: الاسم الذي أطلقه العرب على الإقليم الذي يطل على البحر الأحمر ويواجه اليمن، واختلفت حدوده باختلاف العصور، وهو ما يعرف اليوم ب(أثيوبيا)، وهي دولة في أفريقيا الشرقية على البحر الأحمر بين السودان وكينيا والصومال وجيبوتي، تبلغ مساحتها (١,٢٢١,٩٠٠ كم) وعدد نفوسها حوالي (٥٣,٢٠٠,٠٠٠ نسمة) عاصمتها (أديس أبابا) تتبعها جزر دهلك أمام ساحل إريتريا، أنهى الحكم الإمبراطوري فيها انقلاب عسكري عام (١٩٧٤م) جعل من أثيوبيا جمهورية شعبية ديمقراطية ذات حزب واحد عام (١٩٨٧م). حيث حكمها الإمبراطور هيلا سلاسي منذ عام (١٩٣٠م) حتى عام (١٩٧٤م)، وكان قد قام بينها وبين إريتريا اتحاد فدرالي سنة (١٩٥٢م) ولكن لم يلبث هيلا سلاسي أن ألغى الاتحاد وأعلن ضم إريتريا إلى الحبشة عام (١٩٦٢م)، فقامت في إريتريا ثورة مسلحة للانفصال نشطت بعد سقوط هيلا سلاسي، حتى أعلنت استقلالها عن إثيوبيا عام (١٩٩٣م). أخذ الإسلام ينتشر في المناطق الشرقية للحبشة ولكن ببطء ثم أخذ يشق طريقه إلى داخل البلاد بواسطة المسلمين من الأحباش الذين أسلموا على أيدي العرب. وتمكنت طائفة من التجار المسلمين من أهالي تكرور بالسودان من الانتشار في شتى بقاع الحبشة وهؤلاء ساعدوا إلى حد ما في نشر الإسلام. ولعل اشتغال المسيحيين في الحبشة بالخلافات المذهبية ساعد الإسلام على التوسع والانتشار في الأراضي الحبشية. بدأ الإسلام يخطو في الحبشة خطوات واسعة نحو الأمام ثم انكمش وتقلص في عهد الملك يوحنس وفي عهد خلفه منليك، واستمر ذلك الوضع زمناً طويلاً حتى عام (١٩١٣م) حين قام بالأمر الملك ليح اياسوا فناصر الإسلام بكل قوته وزعم أنه من سلالة الرسول (صلى الله عليه وآله) وليس من سلالة سليمان، وتزوج من النساء المسلمات وانتظم في سلك المسلمين، وتزى بزبهم وتقلد السيف العربي، وكتب على العلم بالحروف الحبشية «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وفي أواخر عهد هذا الملك ظهرت فكرة إيجاد رابطة بين الأحباش والعرب وكانت فكرة هذا التقارب أقوى وأبرز وضوحاً بين أهالي الصومال وبين سائر القبائل الحبشية، فالصوماليون يقولون إنهم

لماذا الحبشة؟

ولكن لماذا اختار الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الحبشة للهجرة الأولى دون سواها من البقاع؟

في جواب ذلك نقول:

أولاً: لأن ملك الحبشة المسمى (النجاشي)^(٢١) كان ملكاً عادلاً لا يظلم عنده أحد، وهذا ما صرح به الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) عندما أمر المسلمين بالخروج إلى الحبشة حيث قال: «إن بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد، فأخرجوا إليه حتى يجعل الله عزوجل للمسلمين فرجاً»^(٢٢).

ثانياً: لبعدها عن مكة، وهذا يساعد في الحد من ضغوط قريش على المسلمين.

ثالثاً: لقوة الحبشة، فالحبشة في ذلك الوقت كانت مملكة قوية لا تستطيع قريش محاربتها

من سلالة عربية، ولقد أخذ كثير من الأحباش يقبلون على دراسة اللغة العربية وهم يعتبرونها لغة مقدسة. فبلغ عدد المسلمين في الحبشة أكثر من ستين في المائة.

والحبشة عبارة عن هضبة تنتشر فيها الجبال والقمم المتفرقة، خاصة غربي البلاد، يتجاوز ارتفاعها أحياناً (٤٠٠٠ م) وأعلاها رأس داشان (٤٦٢٠ م) تتخللها أودية عميقة وأنهر عديدة، ويفصلها عن السهل الساحلي في الشرق جدار شاهق يعيق المواصلات. ينبع النيل الأزرق من بحيرة تانا، وفي الجنوب الغربي منخفض تكثر فيه البحيرات ومنها: أبايا وستيفاني، وعلى حدود كينيا والسودان بحيرة رودولف. أنهارها كثيرة، أطولها جوبا، وأهمها النيل الأزرق. منفذها على البحر: مصوع وعصب في إريتريا، يربطها خط حديدي بمرافئ جيبوتي. وتشتهر بزراعة الذرة والحبوب والتبغ والبن والقطن. أهم صادراتها: البن ومنتجات المواشي والسكر والملح.

انظر الموسوعة الإسلامية، حسن الأمين: ج ٥ ص ١٥٦، الحبشة.

(٢١) اسمه أصحمة وهو بالعربية عطية، وقيل: صحمة، وإنما النجاشي اسم لكل من ملك الحبشة، كقولهم، كسرى ملك الفرس أو قيصر ملك الروم، اختار الإسلام وحسن إسلامه ولما توفي نعاه النبي (صلى الله عليه وآله) ودعا له، وذلك لأن جبرائيل (عليه السلام) نعاه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في اليوم الذي مات فيه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم» قالوا: ومن؟ قال: «النجاشي». فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي، وصلى عليه، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علع نصراني حبشي لم يره قط، وليس على دينه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ سورة آل عمران: ١٩٩. انظر مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٨٠ سورة آل عمران.

(٢٢) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٤١٢ ب ٤ ضمن ذكر أحوال النجاشي.

و الإغارة عليها.

رابعاً: لضعف النفوذ المكي على السلطة الحاكمة في الحبشة بخلاف بقية المناطق الأخرى والتي يحظى بها المكيون بنفوذ قوي وواسع، سواء كان تجارياً أو سياسياً أو دينياً. لهذه الأسباب وغيرها اختار رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحبشة دون سواها. فخرج عدد من المسلمين سراً إلى الحبشة، وقد ذكر في بعض كتب التاريخ: إن المسلمين الذين خرجوا في بادئ الأمر إلى الحبشة كانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة. فخرجوا إلى البحر واستأجروا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وذلك في شهر رجب من السنة الخامسة من مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله). وكانت هذه الهجرة هي الهجرة الأولى، ثم خرج جعفر بن أبي طالب (رضوان الله عليه) من بعد ذلك، وتتابع المسلمون في الهجرة إلى الحبشة حتى وصل عددهم إلى اثنين وثمانين رجلاً من غير النساء والصبيان^(٢٣).

موقف قريش من الهجرة

عندما هاجر المسلمون إلى الحبشة، وسمع بذلك أهل مكة، نزل هذا الخبر كالصاعقة على رؤوس الشرك والضلال من زعماء قريش، حيث غيّر الكثير من حساباتهم التي وضعوها للحد من انتشار هذا الدين، فمن ضمن الأهداف التي كانوا يرومونها من الضغط على الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأتباعه هي: حصر المسلمين والحد من دعوتهم، وذلك بمنعهم من الالتقاء بأهل مكة وغير أهل مكة والحيلولة دون هجرتهم إلى المناطق المجاورة، فقد كان زعماء الشرك في مكة يعلمون أن المسلمين لو استطاعوا النفوذ إلى المناطق المجاورة، لعملوا على كسب أهل هذه المناطق للدخول في الإسلام؛ لأن الإسلام دين الفطرة والعقل ويأمر بكل الأشياء الحسنة، وينهى عن كل الأشياء القبيحة، فقد أحل الله تبارك وتعالى الطيبات وحرم عزوجل الخبائث، ولما يتمتع به المسلمون من إيمان قوي وحنكة وذكاء، فيستطيعون بواسطة هذا كسب الناس إلى دينهم، وهذا ما حصل فعلاً، حيث إن المسلمين استطاعوا أن يدخلوا مجموعات كبيرة من الناس إلى الدين الإسلامي وكان من ضمنهم ملك الحبشة نفسه، ولكن نظراً للعنجهية التي

(٢٣) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٤١٢ ب ٤.

كانت مسيطرة على تفكير زعماء الشرك في مكة، والجهل المتغلغل إلى أبعد نقطة في عقولهم، ولتعارض تعاليم الإسلام مع المفاسد والأطماع غير الشرعية التي كانوا يدعون لها، فإنهم لم يرضخوا للأمر الواقع ولم يقبلوا النتيجة، بل فكروا في كل وسيلة يستطيعون بواسطتها إرجاع هؤلاء المسلمين إلى مكة، فأوصلهم جهلهم إلى إرسال مبعوثين إلى ملك الحبشة، يحملون معهم الهدايا الثمينة إليه، ليطلبوه بتسليم المسلمين إليهم، ظناً منهم أن الهدايا ستؤثر أثرها بالملك فيستجيب لطلبهم، ولكن النتيجة جاءت عكسية وليس كما يظنون.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْنَكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٤).

سفراء قريش إلى ملك الحبشة

جاء في التفاسير: إن سبب نزول قوله تعالى:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ (٢٥) أنه لما اشتدت قريش في أذى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الذين آمنوا به بمكة قبل الهجرة، أمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يخرج معهم، فخرج جعفر ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتى ركبوا البحر، فلما بلغ قريش خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى النجاشي ليردوهم، وكان عمرو وعمارة متعادين، فقالت قريش: كيف نبعث رجلين متعادين؟ فبرئت بنو مخزوم من جناية عمارة، وبرئت بنو سهم من جناية عمرو بن العاص، فخرج عمارة وكان حسن الوجه شاباً مترفاً، فأخرج عمرو بن العاص أهله معه، فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر، فقال عمارة لعمرو بن العاص: قل لأهلك تقبلني، فقال عمرو: أيجوز هذا، سبحان الله؟! فسكت عمارة فلما انتشا عمرو وكان على صدر السفينة، دفعه عمارة وألقاه في البحر، فتشبث عمرو بصدر السفينة وأدركوه فأخرجوه، فوردوا على النجاشي، وقد كانوا حملوا إليه هدايا فقبلها منهم.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إن قوماً منا خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وصاروا

(٢٤) سورة الأنعام: ١٢٣.

(٢٥) سورة المائدة: ٨٢.

إليك فردهم إلينا، فبعث النجاشي إلى جعفر فجاؤوا به، فقال: يا جعفر، ما يقول هؤلاء؟

فقال جعفر: أيها الملك وما يقولون؟

قال: يسألون أن أردكم إليهم.

قال: أيها الملك سلهم: أعبيد نحن لهم؟

فقال عمرو: لا بل أحرار كرام.

قال: فسلمهم: ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟

قال: لا ما لنا عليكم ديون.

قال: فلكم في أعناقنا دماء تطالبوننا بها؟

قال عمرو: لا.

قال: فما تريدون منا، أذيتموننا فخرجنا من بلادكم؟

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك خالفونا في ديننا، وسبوا آلهتنا، وأفسدوا شبابنا، وفرقوا

جماعتنا، فردهم إلينا لنجمع أمرنا.

فقال جعفر: نعم أيها الملك، خالفناهم بأنه بعث الله فينا نبياً أمر بخلع الأنداد، وترك

الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة، وحرّم الظلم والجور، وسفك الدماء بغير حقها،

والزنا والربا والميتة والدم، وأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء

والمنكر والبغى.

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم (عليه السلام)، ثم قال النجاشي: يا

جعفر هل تحفظ مما انزل الله على نبيك شيئاً؟

قال: نعم.

فقرأ عليه سورة مريم، فلما بلغ إلى قوله: ﴿وَهَرِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَباً

جَنِيًّا﴾ ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾^(٢٦) فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً، وقال:

هذا والله هو الحق.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك إن هذا مخالفنا فرده إلينا.

فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو، ثم قال: اسكت، والله يا هذا، لأن ذكرته

بسوء لأفقدنك نفسك.

(٢٦) سورة مريم: ٢٥ - ٢٦.

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه، وهو يقول: إن كان هذا كما تقول أيها الملك فإننا لا نتعرض له.

وكانت على رأس النجاشي وصيفة له تذب عنه، فنظرت إلى عمارة بن الوليد وكان فتى جميلاً فأحبتة، فلما رجع عمرو بن العاص إلى منزله، قال لعمارة: لو راسلت جارية الملك؟ فراسلها فأجابته، فقال عمرو: قل لها تبعث إليك من طيب الملك شيئاً، فقال لها فبعثت إليه، فأخذ عمرو من ذلك الطيب، وكان الذي فعل به عمارة في قلبه حين ألقاه في البحر، فأدخل الطيب على النجاشي، فقال: أيها الملك إن حرمة الملك عندنا وطاعته علينا وما يكرمنا إذا دخلنا بلادهم، ونأمن فيه، أن لا نغشه ولا نزيهه، وأن صاحبي هذا الذي معي قد أرسل إلى حرمتك وخذعها، وبعثت إليه من طيبك، ثم وضع الطيب بين يديه، فغضب النجاشي وهم بقتل عمارة، ثم قال: لا يجوز قتله؛ فانهم دخلوا بلادي فأمان لهم، فدعا النجاشي السحرة فقال لهم: اعملوا به شيئاً أشد عليه من القتل، فأخذوه ونفخوا في احليله الزئبق فصار مع الوحش يغدو ويروح وكان لا يأنس بالناس، فبعثت قريش بعد ذلك فكمنوا له في موضع حتى ورد الماء مع الوحش، فأخذوه، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتى مات.

ورجع عمرو إلى قريش فاخبرهم أن جعفر في أرض الحبشة في أكرم كرامة، فلم يزل بها حتى هادن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قريشاً وصالحهم وفتح خيبر، فوافى بجميع من معه، وولد لجعفر بالحبشة من أسماء بنت عميس عبد الله بن جعفر، وولد للنجاشي ابن فسماه محمداً...

وبعث النجاشي ثلاثين رجلاً من القسيسين، فقال لهم: انظروا إلى كلامه . أي كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) . وإلى مقعده ومشربه ومصلاه، فلما وافوا المدينة دعاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢٧) فلما سمعوا ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكوا وآمنوا، ورجعوا إلى النجاشي فأخبروه خبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقرءوا عليه ما قرأ عليهم، فبكى

(٢٧) سورة المائدة: ١١٠.

النجاشي وبكى القسيسون، وأسلم النجاشي ولم يظهر للحبشة إسلامه وخافهم على نفسه، وخرج من بلاد الحبشة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فلما عبر البحر توفي، فأُنزل الله على رسوله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٨).

رواية أخرى في قصة الهجرة (٢٩)

روي عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أرض النجاشي ونحن ثمانون رجلاً، ومعنا جعفر بن أبي طالب، وبعثت قريش خلفنا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص مع هدايا فأتوه بها، فقبلها، وسجدوا له، فقالوا: إن قوماً منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك.

فبعث إلينا، فقال لنا جعفر: لا يتكلم أحد منكم أنا خطيبكم اليوم، فانتبهنا إلى النجاشي، فقال عمرو وعمارة: إنهم لا يسجدون لك. فلما انتبهنا إليه زبرنا الرهبان أن اسجدوا للملك. فقال لهم جعفر: لا نسجد إلا لله.

فقال النجاشي: وما ذلك؟

قال: إن الله بعث فينا رسوله، وهو الذي بشر به عيسى اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأن نقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، وأمرنا بالمعروف، ونهانا عن المنكر. فأعجب النجاشي قوله. فلما رأى ذلك عمرو قال: أصلح الله الملك، إنهم يخالفونك في ابن مريم.

فقال النجاشي لجعفر: ما يقول صاحبك في ابن مريم؟ قال: يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته، أخرجه من العذراء البتول التي لم يقرها بشر.

فتناول النجاشي عوداً من الأرض، فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذا، ثم قال النجاشي لجعفر: أتقرأ شيئاً مما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله)؟

قال: نعم.

(٢٨) انظر تفسير علي بن إبراهيم القمي: ج ١ ص ١٧٩ سورة المائدة.

(٢٩) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١٣٣-١٣٤ ب ١ ح ٢١٩.

قال: اقرأ، وأمر الرهبان أن ينظروا في كتبهم، فقرأ جعفر: ﴿كهيعص﴾^(٣٠) إلى آخر قصة عيسى (عليه السلام) وكانوا يبكون. ثم قال النجاشي: مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد: أنه رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم، ولولا ما أنه فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه، اذهبوا أنتم سيوم^(٣١). أي آمنون. وأمر لنا بطعام وكسوة، وقال: ردوا على هذين هديتهما. وكان عمرو قصيراً، وعمارة جميلاً، وشربا في البحر الخمر، فقال عمارة لعمرو: قل لامرأتك. وكانت معه.: تقبلني. فلم يفعل عمرو، فأخذه عمارة فرمى به في البحر، فناشده حتى خلاه فحقد عليه عمرو^(٣٢).

(٣٠) سورة مريم: ١.

(٣١) سيم: قوم سيوم أي آمنون. قال ابن الأثير: هي كلمة حبشية وتروى بفتح السين، وقيل: سيوم جمع سائم أي: تسومون في بلدي كالغنم السائمة لا يعارضكم أحد، انظر لسان العرب: ج ١٢ ص ٣١٤ مادة «سوم».

(٣٢) وفي ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ص ٢١٠ ب ٣ الفصل ١، في جعفر بن أبي طالب، روي الخبر بهذا اللفظ: عن أم سلمة قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى، فلما بلغ ذلك قريشاً اتهموا أن يبعثوا إلى النجاشي هدايا مما يستظرف من متاع مكة، فجمعوا له أدما كثيراً ولم يتركوا من بطارقتهم بطريقاً إلا أهدوا إليه هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ربيعة المخزومي وعمرو بن العاص، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي بمداياه، ثم سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، قال: فخرجنا فقدمنا على النجاشي فدفعنا إلى كل بطريق هديته، وقالوا: إنه قد صبا إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشرف قومهم لنردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فقالوا: نعم، ثم قربا هداياهم إلى النجاشي فقبلها منهم، ثم كلماه فقالا له: أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم إليهم، فهم أعلم بما عابوا عليهم.

فقال البطارقة. بطارقتهم.: صدقوا فأسلمهم إليهم، فغضب النجاشي وقال: لاها الله إذن، لا أسلمهم إليهم، ولا أكيد قوماً جاوروني ونزلوا بلادني واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هؤلاء في أمرهم، فإن كان كما يقولون سلمتهم إليهما، وإن كان على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسن جوارهم ما جاوروني. قال: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فدعاهم، فلما أن جاءهم الرسول اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟

قالوا: نقول والله ما علمناه، وما أمرنا به نبينا (صلى الله عليه وآله) كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوه وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألمهم ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين من دين هذه الأمم؟

وهكذا حفظ الله تعالى المسلمين من مكر قريش ودسائسهم، كما قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَكْرُوهَا وَمَكْرُ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٣٣).

قالت: وكان الذي يكلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيى الجوار، يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان، أمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً، وأمر بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به، فعبدنا الله عزوجل ولم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما تحرونا فظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترتك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله عزوجل شيء؟

قال: نعم.

قال: فاقراه علي، فقرأ عليه صدرأ من ﴿كهيعص﴾ فبكى والله النجاشي حتى اخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم، ثم قال: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقوا فوالله لا أسلمهم إليكم أبداً.

قالت: فلما خرجنا من عنده، قال عمرو بن العاص: لآتينه غداً أعيبيهم عنده بما أستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن ربيعة، وكان أتقى الرجلين: لا تفعل فإن لهم أرحاماً، قال: لا والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد.

قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فأسألمهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم فأسألمهم عنه؟ قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم؟ قالوا: نقول والله ما قال الله عزوجل وما جاء به نبينا كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

قال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا (صلى الله عليه وآله) هو عبد الله وروحه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قال: فضرب النجاشي يده على الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، ثم قال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي، ردوا عليهما هداياهم فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فأخذ الرشوة، أو ما أطاع الله الناس في فأطيعهم فيه.

قال: فخرجنا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

(٣٣) سورة آل عمران: ٥٤.

أبو طالب (عليه السلام) كافل النبي (صلى الله عليه وآله) والرسالة (٣٤)

كان لوفاة أبي طالب (عليه السلام) عم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ووالد أمير المؤمنين (عليه السلام) الأثر الكبير في نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانت وفاته من الأسباب التي أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) بالهجرة من مكة موطن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومولده؛ إذ كان أبو طالب (عليه السلام) هو السند والناصر والكافل والمحامي والمدافع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في دعوته ورسالته. ولا بأس هنا بالإشارة إلى بعض سيرته الإيمانية الطيبة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومع الرسالة المحمدية الشريفة.

فهو أبو طالب واسمه عبد مناف، وقيل: إن اسمه عمران، وقيل: اسمه كنيته، والصحيح أن اسمه عبد مناف^(٣٥)، وبذلك نطقت وصية أبيه عبد المطلب حين أوصى إليه برسول

(٣٤) قال العلامة المجلسي (رحمه الله): كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تسعة أعمام هم بنو عبد المطلب: الحارث، والزبير، وأبو طالب، وحمزة، والغيداق، والضرار، والمقوم، وأبو لهب واسمه: عبد العزى، والعباس. ولم يعقب منهم إلا أربعة: الحارث وأبو طالب، والعباس، وأبو لهب. إلى ان قال . وأما أبو طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله) فكان مع أبيه عبد الله ابني أم ، وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، واسمه عبد مناف، له أربعة أولاد ذكور: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي، ومن الإناث أم هاني، واسمها فاختة وجمانة، أمهم جميعاً فاطمة بنت أسد، وكان عقيل أسن من جعفر بعشر سنين، وأعقبوا إلا طالباً، وتوفي قبل أن يهاجر النبي (صلى الله عليه وآله) بثلاث سنين، ولم يزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممنوعاً من الأذى بمكة موقى له حتى توفي أبو طالب، فبنت به مكة ولم يستقر له بها دعوة حتى جاءه جبرئيل (عليه السلام) فقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول لك: اخرج من مكة فقد مات ناصرك.

وأما العباس فكان يكنى أبا الفضل، وكانت له السقاية وزمزم، وأسلم يوم بدر، واستقبل النبي (صلى الله عليه وآله) عام الفتح بالأبواء، وكان معه حين فتح وبه ختمت الهجرة، ومات بالمدينة في أيام عثمان، وقد كف بصره، وكان له من الولد تسعة ذكور ، وثلاث إناث... انظر بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٢٦٠-٢٦١ ب ٥ ح ٢.

(٣٥) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٣٨ ب ٣ بيان ضمن ح ٨٤. وفي ذكر نسب أمير المؤمنين (عليه السلام) قالوا: علي بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب شيبه بن هاشم، واسم هاشم عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة ابن قصي، واسم قصي زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انظر العمدة: ص ٢٣ الفصل ١ في نسب أمير المؤمنين (عليه السلام) .

الله (صلى الله عليه وآله)، فقد روي: أنه عندما حضرت عبد المطلب الوفاة - إلى أن قال - مال عبد المطلب إلى جنبه، وأقبل بوجهه على أبي طالب؛ لأنه لم يكن في أولاد عبد المطلب أرفق منه برسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا أميل منه، ثم أنشأ يقول:

أوصيك يا عبد مناف بعدي
بموجد بعد أييه فـردي
فارقه وهو ضجيع المهدي
فكنت كالأم له في الوجدي
قد كنت ألصقه الحشى والكبدي
حتى إذا خفت فـراق الوحدي

أوصيك أرجى أهلنا بالردي
يابن الذي غيبته في اللحدي
بالكره مني ثم لا بالعمدي
وخيرة الله يشاء في العبددي
ثم قال عبد المطلب: يا أبا طالب، إنني القي إليك بعد وصيتي.

قال أبو طالب: ما هي؟

قال: يا بني، أوصيك بعدي بقرّة عيني محمد (صلى الله عليه وآله) وأنت تعلم محلّه مني، ومقامه لدي، فأكرمه بأجل الكرامة، ويكون عندك ليله ونهاره ومادمت في الدنيا، الله ثم الله في حبيبه.

ثم قال لأولاده: أكرموا وجللوا محمداً (صلى الله عليه وآله)، وكونوا عند إعزازه وإكرامه، فسترون منه أمراً عظيماً علياً، وسترون آخر أمره ما أنا أصفه لكم عند بلوغه.

فقالوا بأجمعهم: السمع والطاعة يا أبانا، نفديه بأنفسنا وأموالنا ونحن له فدية.

قال أبو طالب: قد أوصيتنا بمن هو أفضل مني ومن إخواني؟

قال: نعم، . ولم يكن في أعمام النبي (صلى الله عليه وآله) أرفق من أبي طالب قديماً وحديثاً في أمر محمد (صلى الله عليه وآله) .، ثم قال: إن نفسي ومالي دونه فداء، أنزع معاديه، وأنصر مواليه، فلا يهمنك أمره.

ثم إن عبد المطلب غمض عينيه وفتحهما ونظر قريشاً وقال: يا قوم، أليس حقي عليكم واجباً؟

فقالوا بأجمعهم: نعم، حقتك على الكبير والصغير واجب، فنعم القائد ونعم السائق فينا كنت، فجزاك الله تعالى عنا خيراً، ويهون عليك سكرات الموت، وغفر لك ما سلف من ذنوبك.

فقال عبد المطلب: أوصيكم بولدي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) فأحلوه محل الكرامة فيكم، وبروه ولا تجفوه، ولا تستقبلوه بما يكره. فقالوا بأجمعهم: قد سمعنا منك وأطعناك فيه (٣٦).

وقد ورد الكثير من الروايات الدالة وبشكل قاطع على إيمانه وكامل مساندته (عليه السلام) للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) (٣٧).

وقد صرح في شعره بما يدل أشد الدلالة على إيمانه (عليه السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله) ونبوته، حيث يقول (٣٨):

إن ابن آمنة النبي محمداً عندي بمثل منازل الأولاد
فأقر بنبوته كما هو واضح.

ومنها: قوله لما رأى بحيرا الراهب الغمامة على رأس رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال فيه:

فلما رآه مقبلاً نحو داره يوقيه حر الشمس ظل غمام
حنا رأسه شبه السجود وضمه إلى نحره و الصدر أي ضمام
إلى أن قال:

وذلك من أعلامه و بيانه وليس نهار واضح كظلام

(٣٦) راجع بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٥٢ - ١٥٣ ب ١. وانظر الفضائل لابن شاذان: ص ٤٥ حديث مولد النبي (صلى الله عليه وآله).

(٣٧) قال العلامة المجلسي: أجمعت الشيعة على إسلامه (عليه السلام) وأنه قد آمن بالنبي (صلى الله عليه وآله) في أول الأمر ولم يعبد صنماً قط، بل كان من أوصياء إبراهيم (عليه السلام) وقال الطبرسي: قد ثبت إجماع أهل البيت □ على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجة؛ لأنهم أحد الثقلين اللذان أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بالتمسك بهما. بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٣٨ - ١٣٩ ب ٣ بيان.

(٣٨) إعلام الوری بأعلام الهدى: ص ١٩ الركن الأول ب ٢.

فافتخاره بذلك وجعله من أعلامه دليل على إيمانه.

ومنها: قوله في رجوعه من عند بحيرا وذكر اليهود:

لما رجعوا حتى رأوا من محمد

أحاديث تجلو غم كل فؤاد

ومنها: أنه أرسل إليه عقيلاً وجاء به في شدة الحر لما شكوا منه، وقال له: إن بني عمك

هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديمهم ومسجدهم فانتهم عنهم.

فقال (صلى الله عليه وآله) لهم: أترون هذه الشمس؟

فقالوا: نعم.

فقال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منها شعلة.

فقال لهم أبو طالب: والله، ما كذب ابن أخي قط فارجعوا عنه، وهذا غاية التصديق.

ومنها: قوله في جواب ذلك في أبياته:

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر وقر بذاك منك عيوننا

إلى أن قال:

وعرضت ديناً قد علمت بأنه من خير أديان البرية ديننا

وقال:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبيا كموسى خط في أول الكتب

فقد أقر بنبوته (صلى الله عليه وآله) وأكد ذلك بأن شبهه بموسى (عليه السلام) وزاد في

التأكيد بقوله: خط في أول الكتب، فاعترف بأنه قد بشر بنبوته كل نبي له كتاب، وهذا أمر

لا يعترف به إلا من قد سبق له قدم في الإسلام، ثم وكد اعترافه أيضا بقوله:

وإن عليه في العباد محبة ولا خير ممن خصه الله بالحب

فاعترف بمحبة الخلق له و بمحبة الله له وجعله خير الخلق بقوله: (ولا خير) إلى آخره،

يعني لا يكون أحد خيراً ممن خصه الله بحبه بل هو خير من كل أحد.

نعم، يستدل بما مضى وبغيره مما لا يسع المجال لذكره على إيمان أبي طالب (عليه

السلام) وقد ذكر المحققين كثيراً من القصص والأشعار الدالة على وبشكل قاطع على إيمان

أبي طالب (عليه السلام) (٣٩).

(٣٩) انظر بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ١٣٩-١٤١ ب ٣ بيان.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) يرثي أباه أبا طالب بعد وفاته، فقال:

أرقت لنوح آخر الليل غردا لشيخى ينعى والرئيس المسودا
أباطالب مأوى الصعاليك ذالندى وذا الحلم لا خلفا ولم يك قعددا
أخا الملك خلى ثلثة سيسدها بنو هاشم أو يستباح فيمهدها
فأمست قريش يفرحون بفقده ولست أرى حيا لشيء مخلدا
أرادت أمورا زينتها حلومهم ستوردهم يوما من الغي موردا
يرجون تكذيب النبي وقتله وأن يفتروا بهتة عليه ومحجدا
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم صدور العوالي والصفيح المهندا
ويبدو منا منظر ذو كريهة إذا ما تسربلنا الحديد المسردا
فإما تبيدونا وإما نبيدكم وإما تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلا فإن الحي دون محمد بنو هاشم خير البرية محتدا
وإن له فيكم من الله ناصرا ولست بلاق صاحب الله أوحدا
نبي أتى من كل وحي بخطه فسماه ربي في الكتاب محمدا
أغر كضوء البدر صورة وجهه جلا الغيم عنه ضوءه فتوقدا
أمين على ما استودع الله قبله وإن كان قولا كان فيه مسددا^(٤٠)

أما كفالاته ونصرته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو مما تواتر ذكره في الأخبار، فقد روي عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٤١) قال علي (عليه السلام) . وقال ابن عباس : « كان النبي (صلى الله عليه وآله) يريه، وعقب من سمته وكرمه وخلائقه ما أطاق، فقال (صلى الله عليه وآله) لي: يا علي، قد أمرت أن أنذر عشيرتي الأقربين فاصنع لي طعاماً واطبخ لي لحماً» قال علي (عليه السلام) : «فعددتهم بني هاشم بحتا فكانوا أربعين . قال . فصنعت الطعام، طعاماً يكفي لاثنين أو ثلاثة، قال : فقال لي المصطفى (صلى الله عليه وآله): هاته.

قال: فأخذ (صلى الله عليه وآله) شظية من اللحم فشظاها بأسنانه، وجعلها في الجفنة . قال: وأعددت لهم عسا من لبن، قال: ومضيت إلى القوم فأعلمتهم أنه قد دعاهم لطعام وشراب، قال: فدخلوا وأكلوا ولم يستتموا نصف الطعام حتى تضلعوا، قال: ولعهدي بالواحد

(٤٠) ديوان الإمام علي (عليه السلام): ص ١٥٤-١٥٥ .

(٤١) سورة الشعراء: ٢١٤ .

منهم يأكل مثل ذلك الطعام وحده.

قال: ثم أتيت باللبن، قال: فشربوا حتى تضلعوا، قال: ولعهدي بالواحد منهم وحده يشرب مثل ذلك اللبن، قال: وما بلغوا نصف العس.

قال: ثم قام فلما أراد أن يتكلم اعترض عليه أبو لهب لعنه الله فقال: أ لهذا دعوتنا؟، ثم أتبع كلامه بكلمة ثم قال: قوموا، فقاموا وتفرقوا كلهم.

قال: فلما كان من الغد، قال لي: يا علي أصنع لي مثل ذلك الطعام والشراب، قال: فصنعتة ومضيت إليهم برسالته.

قال: فأقبلوا إليه فلما أكلوا وشربوا قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليتكلم فاعترضه أبو لهب لعنه الله.

قال: فقال له أبو طالب(عليه السلام): اسكت يا أعور، ما أنت وهذا.

قال: ثم قال أبو طالب(عليه السلام): عنه لا يقوم من أحد.

قال: فجلسوا، ثم قال للنبي(صلى الله عليه وآله): قم يا سيدي، فتكلم بما تحب وبلغ رسالة ربك، فإنك الصادق المصدق.

قال: فقال (صلى الله عليه وآله) لهم: رأيتم لو قلت لكم إن وراء هذا الجبل جيشا يريد أن يغير عليكم أكنتم تصدقوني؟

قال: فقالوا: كلهم نعم؛ إنك لأنت الأمين الصادق.

قال: فقال لهم: فوحدوا الله الجبار، واعبدوه وحده بالإخلاص، واخلعوا هذا الأنداد الأنجاس، وأقروا واشهدوا بأني رسول الله إليكم وإلى الخلق، فإني قد جئتكم بعز الدنيا الآخرة.

قال: فقاموا وانصرفوا كلهم، وكان الموعدة قد عملت فيهم»(٤٢).

ودخل أبو طالب (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله) فرآه كئيباً، وقد علم

(٤٢) الطرائف: ج ١ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ في إيمان أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٨٥. وفي الحديث السابق يقول أحد العلماء: ولو لم يكن لأبي طالب إلا هذا الحديث وأنه سبب في تمكين النبي(صلى الله عليه وآله) من تأدية رسالته وتصريحه، بقوله: وبلغ رسالة ربك، فإنك الصادق المصدق، لكفاه شاهداً بإيمانه وعظيم حقه على أهل الإسلام، وجماله أمره في الدنيا ودار المقام، وما كان لنا حاجة إلى إيراد حديث سواه. انظر بحار الأنوار: ٣٥ ص ١٤٥ ب ٣ بيان.

مقالة قريش . حين طلبوا تسليم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمد، لا تحزن، ثم قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وودعوتني وذكرت أنك ناصحي
وذكرت ديناً قد علمت بأنه من خير أديان البرية ديناً (٤٣)

حتى أوسد في التراب دفيناً
وابشر وقر بذاك منك عيوننا
ولقد نصحت وكنيت قبل أميننا
وذكرت ديناً قد علمت بأنه من خير أديان البرية ديناً (٤٣)

وقال (عليه السلام) للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): اخرج ابن أخي فإنك المنيع كعبا والمنيع حزبا والأعلى أبا، والله لا يسلفك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبتة سيوف حداد، والله لتدللن لك العرب ذل البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعاً، ولقد قال: إن من صلي لنبياً لوددت أني أدركت ذلك الزمان فأمنت به، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به (٤٤) .

وروي أن أبا طالب (عليه السلام) فقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فظن أن بعض قريش اغتاله فقتله فبعث إلى بني هاشم، فقال: يا بني هاشم، أظن أن بعض قريش اغتال محمداً فقتله، فليأخذ كل واحد منكم حديدة صارمة وليجلس إلى جنب عظيم من عظماء قريش، فإذا قلت: أبغي محمداً قتل كل رجل منكم الرجل الذي إلى جانبه، وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) جمع أبي طالب وهو في بيت عند الصفا، فأتى أبا طالب وهو في المسجد، فلما رآه أبو طالب أخذ بيده ثم قال: يا معشر قريش، فقدت محمداً فظننت أن بعضكم اغتاله، فأمرت كل فتى شهد من بني هاشم أن يأخذ حديدة ويجلس كل واحد منهم إلى عظيم منكم، فإذا قلت: أبغي محمداً قتل كل واحد منهم الرجل الذي إلى جنبه، فاكشفوا عما في أيديكم يا بني هاشم، فكشف بنو هاشم عما في أيديهم فنظرت قريش إلى ذلك، فعندها هابت قريش رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم أنشأ أبو طالب يقول:

ألا أبلغ قريشا حيث حلت وكل سرائر منها غرور

(٤٣) بحار الأنوار: ٣٥ ص ١٤٧ ب ٣ بيان.

(٤٤) الطوائف: ج ١ ص ٣٠٢-٣٠٣ في إيمان أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٨٨.

فإني و الضوايح غاديات وما تتلو السفاخرة (٤٥) الشهور
لآل محمد راع حفـيظ وود الصدر مـني والضـمير
فلست بقاطع رحمي وولدي ولو جرت مظالمها الجـزور
أيأمر جمعهم أبناء فـهر بقتل محمد والأمر زور
فلا وأبيك لا ظفرت قريش ولا لقيت رشادا إذ تشـير
بني أخي ونوط القلب مـني وأبيض ماءؤه غـدق كـثير
ويشرب بعده الولدان ريا وأحمد قد تضمـنه القبـور
أيا ابن الأنف أنف بني قصي كأن جبينك القمر المنـير

وله (عليه السلام) أيضاً:

فكيف يكون ذلكم قريشا وما مـني الضراعة والفتور
علي دمـاء بدن عاطلات لئن هدرت بذلكم الهدور
لقام الضاربون بكل ثغر بأيديهم مهنـدة تمـور
وتلقوني أمام الصف قدما أضارب حين تحزمه الأمور
أراذي مرة وأكر أخـرى حذارا أن تغور به الغرور
أزودهم بأبيض مشـرفي إذا ما حاطه الأمر النكير
وجمعت الجموع أسود فـهر وكان النقع فوقهم يثور
كأن الأفق محفوف بنار وحول النار آساد تـزير
بمـترك المنيايا في مكر تخال دمـاءه قدرا تـفور
إذا سالت مجلجلة صدوق كأن زهاءها رأس كـبير
وشظباها محل الموت حقا وحوض الموت فيها يستدير
هنالك أي بني يكون مـني بوادر لا يقوم لها الكـثير
تدهدت الصخور من الرواسي إذا ما الأرض زلزلها القـدير
ولا قفل بـقيلهم فـإني وما حلت بكعبته النـذور
وفي دون نفسـك إن أرادوا بها الدهياء أو سالت بحـور
إلى أن قال:

(٤٥) وفي نسخة أخرى: (السفاخرة) وهي تعني أصحاب الأسفار والكتب، انظر لسان العرب: ج ٤ ص ٣٧١ مادة (سفر).

رجوع إلى القائمة

لك الله الغداة وعهد عم تجنبه الفواحش و الفجور
بتحفاظي ونصرة أريحي من الأعمام معضاد يصور
وروي أنه (عليه السلام) قال: حدثني محمد ابن أخي وكان والله صدوقا . قال . قلت له:
بم بعثت يا محمد؟

قال: «بصلة الأرحام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة»^(٤٦).

(٤٦) بحار الأنوار: ٣٥ ص ١٤٩-١٥١ ب ٣ بيان.

وفاة أبي طالب (عليه السلام)

توفي أبو طالب (عليه السلام) في آخر السنة العاشرة من مبعث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ثم توفيت خديجة □ بعده بثلاثة أيام، فسمى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك العام عام الحزن، فقال: «ما زالت قريش قاعدة عني حتى مات أبو طالب»^(٤٧).

ولما قبض أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأذنه بموته فتوجع لذلك النبي (صلى الله عليه وآله) وقال: «امض يا علي، فتول غسله وتكفينه وتحنيطه، فإذا رفعته على سريره فأعلمني».

ففعل ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فلما رفعه على السرير اعترضه النبي (صلى الله عليه وآله)، فرق له، وقال: «وصلتك رحم، وجزيت خيراً، فلقد ربيت وكفلت صغيراً، وآزرت ونصرت كبيراً». ثم أقبل على الناس، فقال: «أما والله، لأشفعن لعمي شفاععة يعجب منها أهل الثقلين»^(٤٨).

وروي عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله، ما ترجو لأبي طالب؟ قال: «كل خير أرجوه من ربي»^(٤٩).

نعم، هذه هي الحماية والمساندة والرعاية والحب الكبير من أبي طالب (عليه السلام) عم للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وموته وموت خديجة الكبرى □ سمى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك العام بعام الحزن.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الطائف

اشتد الضغط على المسلمين المتواجدين في مكة، بعد فشل مهمة الوفد الذي أرسلته قريش لإرجاع المهاجرين المسلمين من الحبشة، حيث أمعنت قريش في تعذيب المسلمين، وخصوصاً بعد وفاة أبي طالب (عليه السلام) عم النبي (صلى الله عليه وآله).

(٤٧) قصص الأنبياء، للراوندي: ص ٣١٧ ف ٢١ ب ٢٠ ضمن ح ٣٩٤.

(٤٨) إيمان أبي طالب: ص ٢٥-٢٦.

(٤٩) الطوائف: ج ١ ص ٣٠٥ في إيمان أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٩٤.

فوفاته فقد المسلمون ركناً أساسياً من أركان الحماية المنيعة القائمة بوجه قريش؛ إذ بعد هذه الحادثة أخذ مشركو قريش يسومون المسلمين أبشع أنواع الاضطهاد، فأخذ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يفكر في إيجاد وسيلة لرفع هذا الضغط عن المسلمين، فرأى (صلى الله عليه وآله) أن يهاجر المسلمون من مكة، فوقع اختياره في بادئ الأمر على الطائف؛ لأنها منطقة جبلية لا تبعد عن مكة كثيراً، ومناخها معتدل صيفاً وشتاءً، وفيها خصائص اقتصادية جيدة، فكانت تنتج التمور والحبوب والرمان وغيرها من المواد، وتتاجر بها مع التجار من أهل مكة، إلى غيرها من المؤهلات التي دعت الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لاختيارها. فصمم على الهجرة إليها لكي يبني قاعدة للمسلمين هناك، وأخذ يدعو أهلها إلى الإسلام.

ولكن أهل الطائف لم يكن ردهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأفضل من رد أهل مكة؛ وذلك لأن أهل الطائف تربطهم علاقات تجارية وعقائدية وثيقة مضافاً إلى صلة القربى مع أهل مكة، مما جعلهم على نمط واحد من التفكير، فتركهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد أن جاءهم ودعائهم إلى الإسلام، ولكنهم دفعوا صبيانهم وسفهاءهم لأن يتعرضوا للرسول (صلى الله عليه وآله) ويرموه بالحجارة.

فقد روي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما مات أبو طالب (عليه السلام) لج المشركون في أذيته، فصار يعرض نفسه على القبائل بالإسلام والإيمان، فلم يأت أحد من القبائل إلا صده وردة. فقال بعضهم: اعلم أنه لا يقدر أن يصلحنا وهو قد أفسد قومنا، فعمد إلى ثقيف بالطائف فوجد سادتهم جلوساً، وهم ثلاثة إخوة، فعرض عليهم الإسلام وحذرهم من النار وغضب الجبار.

فقال أحدهم: أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك نبياً.

وقال آخر: يا محمد، عجز الله أن يرسل غيرك؟

وقال آخر: لا تكلموه إن كان رسولاً من الله كما يزعم، هو أعظم قدراً أن يكلمنا، وإن كان كاذباً على الله فهو أسرف بكلامه.

وجعلوا يستهزئون به، فجعل يمشي كلما وضع قدماً وضعوا له صخرة، فما فرغ من أرضهم إلا وقدماه تشخب دمماً، فعمد لحائط من كرومهم، وجلس مكروباً، فقال: «اللهم،

إني أشكو إليك غربتي وكربتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، أنت رب المكروبين، اللهم إن لم يكن لك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي الثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لك الحمد حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

قيل: وكان في الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة، فكره أن يأتيهما، لما يعلم من عداوتهما. فقالا لغلام لهما يقال له: عداس: خذ قطفين من العنب، وقدحا من الماء، واذهب بهما إلى ذلك الرجل، وإنه سيسألك أهديه أم صدقة، فإن قلت: صدقة لم يقبلها، بل قل له: هدية. فمضى ووضع بين يديه، فقال: «هدية أم صدقة؟».

فقال: هدية، فمد يده، وقال: بسم الله، وكان عداس نصرانياً، فلما سمعه عجب منه، وصار ينظره، فقال له: «يا عداس من أين؟».

قال: من أهل نينوى.

قال: «من مدينة الرجل الصالح أخي يونس بن متى».

قال: ومن أعلمك؟

فأخبره بقصته، وبما أوحى إليه.

فقال: ومن قبله؟

فقال: «نوح، ولوط» وحكاه بالقصة.

فخر ساجداً لله، وجعل يقبل قدميه، هذا وسيداه ينظران إليه.

فقال أحدهما للآخر: سحر غلامك، فلما أتاهما قالا له: ما شأنك سجدت وقبلت

يديه؟

فقال: يا أسيادي ما على وجه الأرض أشرف ولا ألطف ولا أخير منه.

قالوا: ولم ذلك؟

قال: حدثني بأنبياء ماضية، ونبينا يونس بن متى، فقالا: يا ويلك فتنك عن دينك؟

فقال: والله إنه نبي مرسل.

قالا له: ويحك عزمت قريش على قتله، فقال: هو والله يقتلهم ويسودهم ويشرفهم، إن

تبعوه دخلوا الجنة، وخاب من لا يتبعه، فقاما يريدان ضربه فركض للنبي (صلى الله عليه وآله) وأسلم^(٥٠).

وقال ابن شهر آشوب: لما توفي أبو طالب (عليه السلام) لم يجد النبي (صلى الله عليه وآله) ناصرًا ونثروا على رأسه التراب، قال: ما نال مني قریش شيئاً حتى مات أبو طالب، وكان يستتر من الرمي بالحجر الذي عند باب البيت من يسار من يدخل وهو ذراع وشبر في ذراع إذا جاءه من دار أبي لهب ودار عدي بن حمران. إلى أن قال. لما توفي أبو طالب واشتد عليه البلاء عمد إلى ثقيف بالطائف رجاء أن يؤوه سادتها: عبد نائل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن نمير الثقفي، فلم يقبلوه وتبعه سفهاؤهم بالأحجار ودموا رجله، فخلص منهم واستظل في ظل حبله منه، وقال: «اللهم إني أشكو إليك من ضعف قوتي وقلة حيلتي وناصري، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين» فأنفذ عتبة وشيبة ابنا ربيعة إليه بطبق عنب على يدي غلام يدعى عداساً وكان نصرانيا، فلما مد يده وقال: «بسم الله».

فقال: إن أهل هذا البلد لا يقولونها.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «من أين أنت؟».

قال: من بلدة نينوى.

فقال (صلى الله عليه وآله): «من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى».

قال: وبما تعرفه؟

قال: «أنا رسول الله، والله أخبرني خبر يونس».

فخر عداس ساجداً لرسول الله وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء، فقال عتبة لأخيه: قد أفسد عليك غلامك، فلما انصرف عنه سئل عن مقاتله فقال: والله إنه نبي صادق، فقالوا: إن هذا رجل خداع لا يفتنك عن نصرانيتك، وقالوا: لو كان محمد نبياً لشغلته النبوة عن النساء ولأمكنه جميع الآيات ولأمكنه منع الموت عن أقاربه. انتهى^(٥١).

الرجوع إلى مكة

(٥٠) حلية الأبرار: ج ١ ص ١٢٩ ب ١٤ ح ١.

(٥١) المناقب: ج ١ ص ٦٧ فصل في ما لقيه (صلى الله عليه وآله) من قومه بعد موت عمه (عليه السلام).

وبعد تعنت أهل الطائف ووقوفهم بوجه الرسول (صلى الله عليه وآله)، لم يبق أمامه إلا خياران؛ الرجوع إلى مكة، أو الذهاب إلى منطقة أخرى غير الطائف ومكة، فاختار (صلى الله عليه وآله) الأول، وعزم على ذلك، وذهب إلى مكة وأشرف على الدخول إليها. ولكن دخول الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى مكة ليس بالأمر الهين، خصوصاً بعدما فقد سنده القوي، عمه أبا طالب (عليه السلام)، فكره لذلك دخول مكة وليس له مجير فيها.

في بعض الأحاديث: انه لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الطائف، وأشرف على مكة وهو معتمر، كره أن يدخل مكة وليس له فيها مجير، فنظر إلى رجل من قريش، قد كان أسلم سراً، فقال له: «أنت الأخنس بن شريق فقل له: إن محمداً يسألك أن تجيره حتى يطوف ويسعى فإنه معتمر» فأتاه وأدى إليه ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال الأخنس: إني لست من قريش، وإنما أنا حليف فيهم، والحليف لا يجير على الصميم. إلى أن قال - فرجع إلى رسول الله فأخبره، وكان رسول الله في شعب حراء مختفياً مع زيد..^(٥٢).

وأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) يرسل هذا الرجل إلى بعض شخصيات مكة المعروفة لإجارتها، وربما كان من أهداف الرسول (صلى الله عليه وآله) هو إتمام الحجة عليهم من جميع النواحي التي منها الناحية الاجتماعية والأخلاقية، إلا أن كل ذلك جوبه بالرفض والتهرب، نظراً لحقدهم وكرهاتهم لدعوة النبي (صلى الله عليه وآله)، أو خوفاً مما ستجره عليهم من العداة والأذى من أشياع الضلال في مكة.

كل هذا، والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يهن في دعوته، بل أخذ يعرض نفسه وينشر دعوته على أغلب الشخصيات، كما جاء في كتب الأخبار، فقد روي أنه (صلى الله عليه وآله) قال للرجل المسلم الذي بعثه إلى الأخنس وغيره: «أذهب إلى مطعم بن عدي، فاسأله أن يجيرني حتى أطوف وأسعى»، فجاء إليه وأخبره، فقال: أين محمد؟ فكره أن يخبره بموضعه، فقال: هو قريب، فقال: ائته، فقل له: إني قد أجزتك، فتعال وطف واسع ما شئت»^(٥٣).

فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فطاف وسعى تحت إجارة مطعم بن عدي فلما

(٥٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٧ ب ٥ ح ٥.

(٥٣) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٧ ب ٥ ح ٥.

انتهى من الطواف والسعي جاء (صلى الله عليه وآله) إلى مطعم وقال له: «أبا وهب! قد أجزت وأحسننت، فردّ عليّ جوارِي»، قال: وما عليك أن تقيم في جوارِي؟ قال: «أكره أن أقيم في جوارٍ مشرك أكثر من يوم». قال مطعم: يا معشر قريش، إن محمداً قد خرج من جوارِي^(٥٤). فخرج (صلى الله عليه وآله) إلى شعب مكة وواصل هناك مهامه الرسالية.

الفترة الحرجة

وبعد أن عاد الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الشعب أخذ يقلب فكره في سبيل إيجاد قاعدة انطلاق لنشر الإسلام، أو على الأقل إيجاد حل مؤقت في هذه الفترة الحرجة، فالناصر القوي الذي يستطيع الوقوف بوجه قريش ويصد اعتداءاتهم وهو أبو طالب (عليه السلام) قد فقده المسلمون، والأعداء يزدادون يوماً بعد آخر عناداً وصدماً عن الدين، ومهمته في الطائف فشلت لتعنت أهلها، والحبشة أيضاً لم تعد تتمكن من احتواء المسلمين لوجود موانع صارفة للهجرة الجماعية إليها كان منها بعد الحبشة عن مكة، وإغلاق الطرق المؤدية إليها من قبل المشركين، ووجود شخصيات متنفذة في الحبشة، كبعض القساوسة والبطارقة، وهؤلاء يعلم الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن مصالحهم الدنيوية وتمسكهم بعقائدهم المخرفة، يمنع من قبولهم الإسلام، بل يحاربونه، وهذا خطر على الإسلام الفتى، إلى غير ذلك من الأسباب. فهذه الأسباب وغيرها شغلت فكر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وجعلته ينظر إلى إيجاد قاعدة صلبة وأمينة يستطيع بواسطتها نشر الإسلام في أرجاء المعمورة.

بارقة الأمل

في السنة الحادية عشرة من البعثة الشريفة حصل تحول كبير في حياة المسلمين؛ إذ صادف هذا العام، وفي موسم الحج، قدوم وفد من قبيلتي الأوس والخزرج^(٥٥) إلى مكة، وهاتان القبيلتان بينهما عداوة قديمة أسفرت عن حروب شرسة وطويلة، وكان كل قبيلة يطمح في الحصول على تحالف مع قريش لغرض ترجيح ميزان القوى لصالحها، وقبل أن يجروا

(٥٤) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٨ ب ٥ ح ٥.

(٥٥) الأوس والخزرج قبيلتان عربيتان من الأزد وهم أبناء حارثة بن ثعلبة، ارتحلتا من اليمن إثر تصدع سد مأرب، فاستوطنوا المدينة المنورة، نصرها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآمنوا به فسموا بالأنصار في قبال المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة.

تحالفاتهم مع زعماء قريش اتصل بهم النبي (صلى الله عليه وآله)، وعرض عليهم الإسلام فلم يكن ردهم سلبياً؛ وذلك لأن اليهود المقيمين في المدينة (أرض الأوس والخزرج) قد أخبروا هاتين القبيلتين بظهور نبي قريباً، كما هو موجود في كتبهم، وحين التقى الوفد بالرسول (صلى الله عليه وآله) أعلن فوراً إسلامه بعد أن تيقن أن هذا الشخص هو نبي مرسل من الله تعالى. وعاد الوفد إلى المدينة يحمل أفكاراً جديدة، وأخذ ينشرها بين الناس، وكانت هذه تعد بركة الأمل الأولى التي بزغت في سماء الإسلام في تلك الفترة الحرجة.

روي عن علي بن إبراهيم قال: قدم أسعد بن زرارة، وذكوان ابن عبد قيس في موسم من مواسم العرب، وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بغاث^(٥٦)، وكانت الأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم. فقال عتبة: بعدت دارنا من داركم ولنا شغل لا نتفرغ لشيء. قال: وما شغلتمكم وأنتم في حرملك وأمنكم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، سفه أحلامنا، وسب آلهتنا، وأفسد شباننا، وفرق جماعتنا.

فقال له أسعد: من هو منكم؟

قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً، وأعظمتنا بيتاً. وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم - النظير وقريظة وقينقاع - أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب.

فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟

قال: جالس في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه؛ فإنه ساحر يسحرك بكلامه. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب.

(٥٦) يوم بغاث أو بعث، بضم الباء: يوم معروف، كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية، هو من مشاهير أيام العرب، وبعث: اسم حصن للأوس، انظر لسان العرب: ج ٢ ص ١١٧ مادة «بعث».

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر، لا بد لي أن أطوف بالبيت؟

قال: ضع في أذنك القطن.

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن، فطاف بالبيت ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازته، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني، أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا نعرفه حتى أرجع إلى قومي فاخبرهم؟ ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله): أنعم صباحا. فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأسه إليه، وقال: «قد أبد لنا الله به ما هو أحسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم».

فقال له أسعد: إن عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمد؟

قال: «إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدعوكم ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾».

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعز منك، ومعني رجل من قومي، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم الله لنا أمرنا فيك، والله يا رسول الله، لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك، وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك، والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشرنا به وتخبرنا بصفته، فهلم وأسلم، فأسلم ذكوان، ثم قال: يا رسول الله، ابعث معنا رجلا يعلمنا القرآن

ويدعو الناس إلى أمرك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمصعب بن عمير، وكان فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضلانه على أولادهما ولم يخرج من مكة، فلما أسلم جفاه أبواه، وكان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الشعب حتى تغير وأصابه الجهد، فأمره رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخروج مع أسعد، وقد كان تعلم من القرآن كثيراً، فخرج هو مع أسعد إلى المدينة ومعهما مصعب بن عمير، فقدموا على قومهم وأخبروهم بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخبره، فأجاب من كل بطن الرجل والرجلان، وكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة، وكان يخرج في كل يوم ويطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الإسلام فيجيبه الأحداث، وكان عبد الله بن أبي شريقاً في الخزرج، وقد كان الأوس والخزرج اجتمعت على أن يملكوه عليهم لشرفه وسخائه، وقد كانوا اتحدوا له إكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها، وذلك أنه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بغاث ولم يعن على الأوس، وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أعين على الظلم، فرضيت به الأوس والخزرج، فلما قدم أسعد كره عبد الله ما جاء به أسعد وذكوان وفتن أمره.

فقال أسعد لمصعب: إن خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس، وهو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف، فإن دخل في هذا الأمر تم لنا أمرنا، فهل نأتي محلثهم. فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة سعد بن معاذ فقعده على بئر من آبارهم واجتمع إليه قوم من أحداثهم وهو يقرأ عليهم القرآن، فبلغ ذلك سعد بن معاذ، فقال لأسيد بن حضير وكان من أشرافهم: بلغني أن أبا أمامة أسعد ابن زرارة قد جاء إلى محلثنا مع هذا القرشي يفسد شباننا، فأتته وانته عن ذلك.

فجاء أسيد بن حضير، فنظر إليه أسعد فقال لمصعب: إن هذا الرجل شريف، فإن دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا، فأصدق الله فيه. فلما قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة، يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا، ولا تفسد شباننا، واحذر الأوس على نفسك.

فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه، وإن كرهته نحينا عنك ما تكرهه.

فجلس فقرأ عليه سورة من القرآن.

فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟

قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين. فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثم خرج وعصر ثوبه، ثم قال: اعرض عليّ، فعرض عليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقأها، ثم صلى ركعتين، ثم قال لأُسعد: يا أبا أمامة، أنا أبعث إليك الآن خالك وأحتال عليه في أن يجيئك.

فرجع أسيد إلى سعد بن معاذ، فلما نظر إليه سعد قال: اقسم أن أسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب من عندنا، فأتاهم سعد بن معاذ فقرأ عليه مصعب: ﴿حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٥٨) فلما سمعها، قال مصعب: والله، لقد رأينا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم، فبعث إلى منزله وأتى بثوبين طاهرين واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين، ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوله إليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابن أحداً. ثم جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح: يا بني عمرو بن عوف لا يبقين رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبي إلا أن يخرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب.

فلما اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم؟

قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا، ولا نرد لك أمراً، فمرنا بما شئت.

فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم علي حرام حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والحمد لله الذي أكرمنا بذلك، وهو الذي كانت اليهود تخبرنا به. فما بقي دار من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلا وفيها مسلم أو مسلمة، وحول مصعب بن عمير إليه وقال له: أظهر أمرك وادع الناس علانية. وشاع الإسلام بالمدينة وكثر، ودخل فيه من البطينين جميعاً أشرفهم، وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود.

وبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام، وكتب إليه مصعب بذلك، وكان كل من دخل في الإسلام من قريش ضربه قومه وعذبه، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمرهم بالخروج إلى المدينة، فكانوا يتسللون رجالاً فرجلاً فيصيرون إلى المدينة فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم... (٥٩).

(٥٨) سورة فصلت: ١، ٢.

(٥٩) إعلام الوری بأعلام الهدى: ص ٥٦ الركن الأول ب ٣ ف ٧.

لماذا المدينة المنورة

منذ ذلك الحين راح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخطط في سبيل إرساء قواعد الإسلام في المدينة المنورة^(٦٠)، بعد أن وقع اختياره عليها لتكون القاعدة الأمينة، لنشر الدين

(٦٠) المدينة المنورة: ثانية مدن الحجاز القديمة وأهم مدينة حجازية تاريخية بعد مكة المكرمة من حيث السعة والتجارة ومن حيث الحاصلات الزراعية ووفرة المياه.

والحجاز أحد أقاليم الجزيرة العربية الواقع في غرب جزيرة العرب، وهو إقليم مستطيل تحده قديماً من الشمال بادية الشام أو الأردن الحالية، ومن الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق نجد، ومن الجنوب بلاد العسير.

وتقطع الحجاز من الشمال إلى الجنوب جبال (السراة) ويبلغ ارتفاع بعضها نحو (٨٠٠٠ قدم)، ويتصل بمنحدرات هذه الجبال سهل مشهور هو السهل المعروف باسم (تهامة)، وقيل: إن الحجاز هو الجبال الحاجزة بين الأرض العالية من نجد وبين الساحل الواطئ (تهامة)، والحجاز على هذا هو الجبال الممتدة من خليج العقبة إلى عسير، وقيل: بل سمي حجازاً لأنه يحجز بين الشام واليمن والتهائم.

ويثرب (المدينة) واقعة في القسم الشمالي من الحجاز وعلى بعد (٣٠٠ ميل) شمالي مكة المكرمة وفي طريق الشام للمصعد من اليمن ومكة، وعلى مسافة (١٣٠ ميلاً) عن ينبع ميناء المدينة على البحر الأحمر، ويثرب هذه واحة خصبة التربة غزيرة المياه محصورة بين حرتين، أو ما تسمى باللاتين، وفي أرض سبخة. والحرّة هي الحجارة البركانية السوداء المنخوبة، والسبخة هي التربة المشوبة بالملح. وهاتان الحرتان اللتان تقع يثرب بينهما هما حرّة (واقم) في الشرق، وحرّة (الوبرة) في الغرب، وتكتنف الوديان الحرتين من الشرق ومن الغرب، وتحيط بالمدينة من جهاتها الأربع.

وتقع مدينة (يثرب) بين خط العرض ٥٢٤-٥٢٥ شمالاً، وعلى خط الطول ٣٩-٤٠ شرقاً غربينتش، ولجبالها ومرتفعاتها شهرة اكتسبت معظمها بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة وبسبب ما حدث عندها من حوادث مهمة في تاريخ الإسلام مما أضفت عليها الأحاديث الشيء الكثير من الثناء والذكر الطيب، من أهم هذه الجبال: جبل (أحد)، وهو واقع شمال المدينة بينه وبينها قرابة ميل واحد، وهو جبل أحمر، وعنده كانت الوقعة الفظيعة التي اشتهر بها (معركة أحد) والتي قتل فيها سبعون من خيرة أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) ومنهم كان حمزة بن عبد المطلب عم النبي (صلى الله عليه وآله) فأقبلت (هند) زوج أبي سفيان وأم معاوية، ومثلت به ما لم يمثل بأحد في غزاة، وأخرجت كبده تمضعها وتلوکها تشفياً به (عليه السلام) فلقت بأكلة الأكباد؛ وهذا ما جعل لأحد بالإضافة إلى الوقعة الكبيرة شهرة واسعة. ومن أشهر جبال المدينة جبل (وَرِقَان) وهو جبل أسود واقع على يمين المتجه من المدينة إلى مكة، وجبل (رضوى) ويقع على نحو سبع مراحل من المدينة، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية. وفي هذه الجبال الثلاثة وردت أحاديث مباركة عن النبي (صلى الله عليه وآله) منها قوله (صلى الله عليه وآله): «خير الجبال أحد والأشعر وورقان» راجع معجم البلدان: ج ١ ص ١٩٨ باب الهمزة والشين وما يليهما، والأشعر جبل جهينة ينحدر على ينبع من أعلاه. وهناك جبال أخرى، منها (سَلْع) وجبل (عَيْر).

أما مناخ المنطقة فيختلف باختلاف الموقع من حيث الارتفاع ووفرة المياه وكثرة البساتين؛ ومع ذلك فهو على العموم شديدة الحرارة ولا سيما مناخ المدينة نفسها.

ويُثرب هو الاسم التاريخي الذي كان يطلق على هذه المدينة قديماً والتي عرفت بعد ذلك بمدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) وقيل: إن اسم يثرب هو اسم الأرض من ذلك الصقع، وقيل: بل هو اسم المدينة نفسها؛ وقد زعم آخرون أن يثرب قد سميت باسم أول من سكنها من ولد سام بن نوح، وزعم غيرهم أنها سميت باسم رجل من العمالقة، وقيل: إنما سميت بيثرب لأن أول من سكنها عند التفرق كان يثرب بن قافية بن مهلائيل ابن ارم بن عبيل بن عوض بن ارم بن سام ابن نوح. وما من مدينة من المدن الإسلامية كان لها من الأسماء وأكثرها كمدينة يثرب، وإذا صح أن كل هذه الأسماء الواردة في كتب التاريخ هي أسماء لمدينة (يثرب) فالراجح أن كل اسم من هذه الأسماء قد أطلق عليها بناء على صفة اتصفت بها، أو أريد أن تتصف بها، وأن معظمها قد أطلق عليها بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله). فقد ورد في سلسلة من الأقوال: أن للمدينة في التوراة أحد عشر اسماً، وقيل: أربعين اسماً، وقيل: نيف وتسعين اسماً. ومن أشهر أسمائها هي: المدينة، وطيبة، وطابة، والمسكينة، والعذراء، والجابرة، والمحبة، والمحبة، والمحجورة، ويثرب، والناحية، والموفية، وأكالة البلدان، والمباركة، والمحفوفة، والمسلمة، والمجتمعة، والقدسيّة، والعاصمة، والمرزوقة، والشفافية، والخيرة، والمحبوبة، والمرحومة، وجابرة، والمختارة، والمحرمة، والقاصمة وطبايا.

وقد روي: إن النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي سمي يثرب طيبة وطابة؛ لأن المدينة كان اسمها يثرب، والثراب هو الفساد، فنهى أن تسمى به، وسماها طابة، وطيبة. وإن من خصائص (المدينة) أن من دخلها يشم رائحة الطيب، وللعطر فيها رائحة لم توجد في غيرها.

وعلى كثرة أسماء المدينة المنورة فقد اقتصت بالشهرة باسم (يثرب) وباسم (المدينة) واسم (طيبة) دون الأسماء الأخرى، وكان اسم يثرب هو أقدم اسم عرفت به هذه المدينة أو هذه الأرض ثم تغلب اسم (المدينة) بعد ذلك على يثرب وطيبة فسميت بعد هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) إليها بـ(مدينة الرسول) (صلى الله عليه وآله) تمييزاً لها عن المدن الأخرى، ثم اكتفي بعد ذلك باسم المدينة منفرداً وألحقت بها الصفة فصارت تسمى بالمدينة المنورة. وأرض المدينة تشتهر بوديان عديدة منها: وادي العقيق، والعقيق لغة الوادي، وقد قيل عن عقيق المدينة إنه عقيقان: العقيق الأكبر، والعقيق الأصغر، وهناك عقيق آخر هو أكبر من ذينك العقيقين في المدينة، وفي العقيق عدد كبير من الآبار. ومن أوديتها وادي القرى، وهو أشهر أودية الحجاز وأوسعها يمتد بين المدينة والشام، وقد كان مشهوراً بغزارة مياهه، وكثرة عيونها، ومنها وادي مذيبيب، ويقع على نحو سبعة أميال من (المدينة) وهو من أشهر وديان المدينة قامت عليه منازل بني النضير.

وفي المدينة عيون وآبار أشهرها: عين فذك، وهي عين فوارة، يحيط بها نخل كثير، وهي أشهر عيون يثرب، وفذك هذه واقعة في شمال المدينة، ومنها عيون الفُرْع، وعين دومة الجندل، وعين أبي نَيْرَز وعين البُعْبُعَة. ومن أشهر آبارها بئر عُرس، وبئر أرما، وبئر أريس، وبئر حا، وبئر بُضاعة، وبئر رُومة، وبئر رثاب، وبئر عروة.

تحيط بالمدينة قرى وضياح كان لها في أيام الجاهلية شأن كبير من حيث عمرانها وخصبها وازدهارها وحصونها ومناعتها في الحرب، وقد بقي قسم من تلك القرى حتى اليوم محافظاً على خصبه، مزهواً بنخيله وثمره، من أشهرها: العقيق، وخيبر، وقرية فذك، ووادي القرى، وقرية الفُرْع، وقرية فُبا، ودومة الجندل، وقرية ينبع، ومن أشهر

الإسلامي، وذلك لعدة أسباب منها:

أولاً: النضج الفكري الذي كان يتمتع به أهل المدينة بالمقارنة مع أهل مكة، حيث كان أهل المدينة غير مغلقين على أنفسهم دينياً، مضافاً إلى الديانات اليهودية والمسيحية التي كانت تبشر بني آخر الزمان.

ثانياً: ظهور الرغبة الصادقة عند بعض أهالي المدينة في اعتناق الإسلام على العكس من مكة التي وقفت بوجه الإسلام بكل ما تستطيع.

ثالثاً: البعد النسبي بين مكة والمدينة، فالمدينة لا هي بعيدة جداً عن مكة بحيث يصعب الاتصال بها، ولا هي قريبة جداً بحيث تؤثر بها دسائس مكة.

رابعاً: الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به المدينة من الناحية الاقتصادية والعسكرية، فالمدينة تشرف على الطرق الرئيسية، التي تمر بها التجارة من وإلى مكة، وبهذا الموقع اكتسبت قدرة على فرض الحصار على مكة بقطع تجارتها دون العكس، بالإضافة إلى أنها منطقة زراعية، وأرضها خصبة بعكس مكة، أما من الناحية العسكرية فهي محصنة من أغلب جهاتها، وواقعة بين موانع طبيعية محصنة فمن الغرب والشرق، تحيط بها أراض وعرة متكونة من الحجارة المسننة والتي يصعب على كثير من الناس والحيوانات اجتيازها.

وأما جهاتها الأخرى فتحيط بها أشجار النخيل الكثيفة بحيث تشكل مانعاً بوجه هجمات الأعداء إذا ما حاولوا الإغارة عليها، كل هذه العوامل وغيرها جعلت الرسول (صلى الله عليه وآله) يركز تركيزاً مباشراً على المدينة، ويتخذها كقاعدة للانطلاق، وفعالاً تحقق طموح الرسول (صلى الله عليه وآله) في ذلك، وجاءت النتائج كما خطط لها.

قرى المدينة القديمة (زباله الزج) وقرية (المال) وهي من أقدم قرى المدينة، وغير هذه قرى أخرى طمست آثارها ومحيت أسمائها كقرى (عُرينه) ومنازل (مزينة) وغيرها. انظر موسوعة العتبات المقدسة، لجعفر الخليلي، قسم المدينة المنورة.

بيعة الأنصار الأولى والثانية

بعد رجوع وفد أهل المدينة إلى أرضهم . كما مر . أخبروا أهلها بأنهم لم يجروا أي اتفاق مع زعماء قريش . بل التقوا بنبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) الذي كانت اليهود تتوعدهم به وبايعوه، فعم الخير جميع أهل المدينة، واستبشر بعضهم به، وفي العام الثاني أرسلوا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) وفداً يضم اثني عشر رجلاً، فواجهوا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبايعوه في العقبة، وسميت هذه البيعة ببيعة النساء، أو بيعة العقبة الأولى، وكانت هذه البيعة تنص على أن لا يشركوا بالله ولا يسرقوا، قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلة العقبة الأولى، ونحن اثنا عشر رجلاً، أنا أحدهم، فلما انصرفوا بعث معهم مصعب بن عمير إلى المدينة يفقه أهلها ويقرئهم القرآن^(٦١). وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للبعثة الشريفة كما جاء في بعض كتب الأخبار^(٦٢).

وكذلك روي أنه: في السنة الثالثة عشرة كانت بيعة العقبة الثانية، وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج إلى الموسم، فلقى جماعه من الأنصار، فواعدوه عند العقبة أوسط أيام التشريق، قال كعب بن مالك: اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن سبعون رجلاً، ومعهم امرأتان من نسائهم.. فبايعنا وجعل علينا اثنا عشر نقيباً منا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالخروج إلى المدينة، فخرجوا إرسالاً، وأقام هو بمكة ينتظر أن يؤذن له^(٦٣).

وروي: فلما قدمت الأوس والخزرج مكة، جاءهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لهم: «تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم على الله الجنة؟». قالوا: نعم يا رسول الله، فخذ لنفسك وربك ما شئت. فقال: «موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق».

(٦١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٤ ب ٥ ضمن ح ١١.

(٦٢) المصدر السابق.

(٦٣) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٤ ب ٥ ضمن ح ١١.

فلما حجوا رجعوا إلى منى، وكان فيهم ممن قد أسلم بشر كثير، وكان أكثرهم مشركين على دينهم وعبد الله بن أبي فيهم، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في اليوم الثاني من أيام التشريق: «فاحضروا دار عبد المطلب على العقبة ولا تنبهوا نائما، وليتسلل^(٦٤) واحد فواحد». وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطلب، وحمة وعلي والعباس معه، فجاءه سبعون رجلاً من الأوس والخزرج، فدخلوا الدار، فلما اجتمعوا قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله): «تمنعون لي جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم على الله الجنة؟» فقال أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حزام: نعم يا رسول الله، فاشترط لنفسك ولربك.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «تمنعوني مما تمنعون أنفسكم، وتمنعون أهلي مما تمنعون أهليكم وأولادكم؟» قالوا: فما لنا على ذلك؟

قال: «الجنة، تملكون بها العرب في الدنيا، وتدين لكم العجم، وتكونون ملوكا». فقالوا: قد رضينا.

فقام العباس بن نضلة وكان من الأوس فقال: يا معشر الأوس والخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الأبيض والأحمر، وعلى حرب ملوك الدنيا، فإن علمتم أنه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتموه وتركتموه فلا تغروه، فإن رسول الله وإن كان قومه خالفوه فهو في عز ومنعة.

فقال له عبد الله بن حزام وأسعد بن زرارة وأبو الهيثم بن التيهان: ما لك وللكلام يا رسول الله، بل دمننا بدمك، وأنفسنا بنفسك، فاشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا يكفلون عليكم بذلك، كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً». فقالوا: اختر من شئت.

فأشار جبرئيل (عليه السلام) إليهم. فقال: «هذا نقيب، وهذا نقيب» حتى اختار تسعة من الخزرج، وهم: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبد الله بن حزام وهو أبو جابر بن عبد

(٦٤) وفي نسخة (ولينسل) انظر بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٤٧ ب ٦ ضمن ٨..

الله، ورافع بن مالك، وسعد بن عباد، والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة بن الصامت. وثلاثة من الأوس، وهم: أبو الهيثم ابن التيهان. وكان رجلاً من اليمن حليفاً في بني عمرو بن عوف. وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة. فلما اجتمعوا وبايعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) صاح بهم إبليس: يامعشر قريش والعرب، هذا محمد والصبابة من الأوس والخزرج على هذه العقبة يبايعونه على حربكم. فأسمع أهل منى، فهاجت قريش وأقبلوا بالسلح، وسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) النداء فقال للأنصار: «تفرقوا»

فقالوا: يا رسول الله، إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيافنا فعلنا.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لم أؤمر بذلك، ولم يأذن الله لي في محاربتهم».

فقالوا: يا رسول الله، فتخرج معنا؟

قال: «أنتظر أمر الله».

فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، وخرج حمزة ومعه السيف فوقف على العقبة هو وعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلما نظروا إلى حمزة قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم عليه؟

قال: ما اجتمعنا، وما هاهنا أحد، والله لا يجوز أحد هذه العقبة إلا ضربته بسيفي.

فرجعوا وغدوا إلى عبد الله بن أبي وقالوا له: قد بلغنا أن قومك بايعوا محمداً على حربنا؟، فحلف لهم عبد الله أنهم لم يفعلوا ولا علم له بذلك، وأنهم لم يطلعوه على أمرهم، فصدقوه. وتفرقت الأنصار ورجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى مكة^(٦٥).

هاتان البيعتان فتحتا صفحة جديدة للمسلمين، لنشر الدين الإسلامي في المعمورة، بعد أن كسروا الطوق الذي فرضه جبابرة قريش عليهم، وذلك بفعل إيمانهم وصبرهم وجهادهم وثقتهم بالله سبحانه وتعالى، وعلى رأس كل هذه الأشياء والمقومات تقف قيادة الرسول (صلى الله عليه وآله) الحكيمة، والتي تستند على بعد النظر، ودراسة الأحداث التي تدور في فلك قريش وما يدور حولها، دراسة موضوعية وافية، ووضع البدائل المناسبة للأزمات والمعضلات التي تواجه الإسلام.

(٦٥) انظر إعلام الورى بأعلام الهدى: ص ٥٩ - ٦١ ب ٣ ف ٧.

مؤامرة قتل الرسول (صلى الله عليه وآله)

بعد أن فشلت جميع خطط قريش للقضاء على الإسلام، أو الحد من انتشاره، وخصوصاً بعد الهجرة الثانية التي قام بها المسلمون إلى المدينة المنورة أحسوا بالخطر الداهم الذي سوف يعصف بهم، ولكن ما يخفف عنهم هذه الوطأة وجود النبي (صلى الله عليه وآله) بينهم، ففكروا كثيراً بعقولهم الناقصة، وسرح بهم خيالهم المبني على الأطماع والتكبر، فتصوروا أنهم لو قضاوا على النبي (صلى الله عليه وآله) لانتهى كل شيء، ولقضي على دعوته ناسين أو متناسين أن عملهم العدائي الذي تكرر مراراً منذ اليوم الأول لظهور الإسلام لم يثمر ولم يحقق أي إنتاج يضعف الرسالة، بفضل عناية الله ولطفه، وحنكة نبيه (صلى الله عليه وآله).

ورد في بعض التفاسير أن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٦٦)، نزل في قصة دار الندوة^(٦٧).

وذلك أن نفرًا من قريش اجتمعوا فيها، وهي دار قصي بن كلاب، وتأمروا في أمر النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال عروة بن هشام: نترصب به ريب المنون، وقال أبو البخترى: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه، وقال أبو جهل: ما هذا برأي، ولكن اقتلوه، بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسياهم ضربة رجل واحد، فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية، فصوّب إبليس هذا الرأي، وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد، وخطأ الأولين. فاتفقوا على هذا الرأي، وأعدوا الرجال والسلاح، وجاء جبرائيل (عليه السلام) فأخبر رسول

(٦٦) سورة الأنفال: ٣٠.

(٦٧) دار الندوة بمكة، أحدثها قصي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة، وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قصي، ولفظه مأخوذ من لفظ الندي والنادي والمنتدى، وهو مجلس القوم الذين يندون حوله، أي: يذهبون قريباً منه ثم يرجعون، صارت هذه الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فباعها من معاوية بمائة ألف درهم، فلامه معاوية على ذلك وقال: بعت مكرمة آبائك وشرفهم؟! فقال حكيم: ذهبت المكارم إلا التقوى، والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف درهم وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله تعالى، فأينا المغبون؟ وقيل: دار الندوة أول دار بنت قريش بمكة وانتقلت بعد موت قصي إلى ولده الأكبر عبد الدار، ثم لم تزل في أيدي بنيه حتى باعها عكرمة بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية بن أبي سفيان فجعلها دار الإمارة. انظر معجم البلدان: ج ٢ ص ٤٢٣ دار الندوة.

الله (صلى الله عليه وآله)، فخرج إلى الغار، وأمر علياً (عليه السلام) فبات على فراشه، فلما أصبحوا وفتشوا الفراش وجدوا علياً (عليه السلام). وقد رد الله مكرهم، فقالوا: أين محمد؟ فقال: لا أدري، فاقتصوا أثره، وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الجبل، ومروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت.

فقالوا: لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة^(٦٨).

المدينة المنورة والهجرة

ينقل لنا التاريخ بأن المدينة على الرغم من توفر شيء من النضج الفكري فيها، وما يلزم ذلك عادة من المرونة العقيدية، مضافاً إلى بعض الإيجابيات الأخرى إلا أنه كانت توجد فيها مقابل ذلك بعض السلبيات أيضاً، مثل: الصراعات الدموية الطويلة القائمة بين أهم قبيلتين فيها وهما قبيلتي (الأوس) و(الخزرج)^(٦٩) وكذلك بعض العادات الجاهلية المتفشية في تفكير الغالبية من أهالي المدينة مثل التعصب والثأر بأسلوبه الجاهلي، وتفشي الربا إذ كان اليهود في ذلك الوقت يمسكون بعصب الحياة في المدينة عن طريق المال والخداع، حيث كانوا يستغلون الأهالي، وينشرون الربا والفساد.. وكل واحد من هذه السلبيات كان كفيلاً بالقضاء على الأفكار والتيارات الجديدة التي تدخل المدينة، فكيف إذا كانت هذه السلبيات مجتمعة؟ ولكن على الرغم من ذلك كله، استطاع الإسلام أن يشق طريقه ويزرع بذرته الأولى في المدينة، ولكن هذه البذرة الطيبة كانت تحتاج إلى عناية كبيرة لكي تصبح شجرة وتعطي ثمارها.

وعلى هذا الأساس كان عمل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تلك الفترة يتمثل
بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة التثبيت والبناء.

(٦٨) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٥٨ سورة الأنفال.

(٦٩) وقد عرفت لحروبهم أيام مشهودة من أشهرها: يوم الصفينة، وهو أول يوم جرت الحرب فيه، ويوم السرارة، ويوم وفاق بني خزيمة، ويوم حاطب بن قيس، ويوم حضير الكتائب، ويوم أطم بني سالم، ويوم أبتروة، ويوم البقيع، ويوم مضرس ومعيس، ويوم الدار، ويوم بعث الآخر، ويوم فجار الأنصار. وكانوا ينتقلون في هذه المواضع التي تعرف أيامهم بها ويقتتلون قتالاً شديداً. انظر موسوعة العتبات المقدسة، لجعفر الخليلي: ص ٤٥.

المرحلة الثانية: مرحلة الانتشار.

مرحلة التثبيت والبناء

بدأت هذه المرحلة منذ اللحظات الأولى لقدم النبي (صلى الله عليه وآله) المدينة، وشملت مجموعة من المشاريع والأعمال من أهمها:
أولاً: بناء المسجد.

من أهم ما قام به رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بداية دخوله للمدينة المنورة هو بناء المسجد؛ وذلك لحاجة الناس في ذلك الوقت إلى مركز يجتمعون فيه لأداء الصلوات وتبادل الآراء، وإعداد الخطط، وتعليم وتعلم القرآن، وكذلك حل الخصومات والمشاكل، وغيرها من الأعمال، ولهذا أمر (صلى الله عليه وآله) ببناؤه وتشييده، فأصبح ذلك المسجد كالجامعة في مفهوم اليوم، بل أعظم وأشمل منها فالجامعة اليوم تحتوي على مجموعة من الكليات والأقسام فكذلك المسجد كان يحتوي على كثير من الأقسام والفروع، جهة للقضاء وأخرى للاجتماعات، وثالثة لتعليم القرآن، وهكذا.

ثانياً: المؤاخاة بين المسلمين.

لقد كانت هذه الخطوة ضرورية؛ كأحد أسباب العلاج للنعرات والعداوات والضغائن التي ألمعنا إليها آنفاً، لاسيما فيما بين الأوس والخزرج، أضف إلى ذلك الأزمات المتجددة التي خلقتها قوافل المهاجرين اللاجئين الذين كانوا بأمس الحاجة إلى المسكن والمأكل، وغيرها من الأمور. ومن هنا كان نداء الرسول (صلى الله عليه وآله): «تآخوا في الله..»^(٧٠).

روي عن ابن عباس - وغيره - قال: لما نزل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٧١) آخى رسول الله بين الأشكال والأمثال، فأخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن، وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، وبين طلحة والزبير، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، وبين أبي ذر وابن مسعود، وبين سلمان

(٧٠) انظر الغدير: ج ٣ ص ١١٦، وفيه: قال محمد بن إسحاق: وآخى رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: «تآخوا في الله أخوين». ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «هذا أخي». فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أخوين.

(٧١) سورة الحجرات: ١٠.

وحذيفة، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي الدرداء وبلال، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل، وبين المقداد وعمار، وبين عايشة وحفصة، وبين زينب بنت جحش وميمونة، وبين أم سلمة وصفية، حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم، ثم قال (صلى الله عليه وآله): «أنت أخي وأنا أخوك يا علي»^(٧٢).

ولقد كانت هذه الخطوة أعظم أساس قامت عليه الأمة الإسلامية، وأحسن دواء أزيل به ما تبقى في النفوس من ضغينة وعداوة، وفي نفس الوقت كانت مفتاحاً لحل الأزمات الأخرى.

ثالثاً: الصحيفة.

الصحيفة^(٧٣) عبارة عن نظام تدار بواسطته الأمور العامة للمسلمين وغيرهم ممن

(٧٢) المناقب: ج ٢ ص ١٨٥ فصل في الأخوة.

(٧٣) نظراً لأهمية هذه الوثيقة التاريخية وتوخياً للفائدة نورد نصها هنا، ليتسنى لنا الاطلاع . ولو بجزء بسيط . على الحنكة السياسية والقدرة الإدارية العظيمة التي كان عليها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وعلى الأخص في مراحل بناء اللبنة الأولى لهذا الدين العظيم، وقد تضمنت الصحيفة ما يلي:

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي (صلى الله عليه وآله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم، يتعاقلون بينهم وهم يُفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً .

الفرح المثقل بالدين . بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فداء أو عَقْل .

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم، ولا يُقتل مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة، يُجِير عليهم أديانهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس؛ وإنه ممن تبغنا من يهود، فإنه له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم؛ وإن سَلِمَ المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء

جاورهم، فالمجتمع المدني في ذلك الوقت كان خليطاً من القبائل العربية وغير العربية، وكذلك كانت تتعايش معه مجموعة من الديانات اليهودية والمسيحية..، وإن مجتمعاً كهذا هو بحاجة إلى نظام يدير شؤون الناس، فأوجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الصحيفة.

وعدل بينهم، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً، وإن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه، وإنه لا يجبر مشرك مאלاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن؛ وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بيته، فإنه قودٌ به إلا أن يرضى وليُّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيامٌ عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُخديتاً ولا يؤويه؛ وإنه من نصره أو آواه، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإنه مردّه إلى الله عزوجل، وإلى محمد (صلى الله عليه وآله)، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته، وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جفنة بطنٍ من ثعلبة كأنفسهم، وإن لبني الشطيبة مثل ما لليهود بني عوف، وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (صلى الله عليه وآله)، وإنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه [فتك]، وأهل بيته، إلا من ظلم، وإن الله على أبرّ هذا، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم؛ وأنه لم يَأثم امرؤٌ بجليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وإن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشتجار يخاف فساده، فإن مردّه إلى الله عزوجل، وإلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وإن من خرج آمنٌ ومن قعد آمنٌ بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وإن الله جازٌ لمن برّ وأتقى ومحمد رسول الله (صلى الله عليه وآله). « انظر سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٣٤٨، وانظر كتاب (أول حكومة إسلامية في المدينة المنورة) للإمام الراحل (أعلى الله درجاته)، ط مركز الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) للتحقيق والنشر.

فقد روي عن أبي عبد الله، عن أبيه □ قال: «قرأت في كتاب لعلي (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل يثرب: أن كل غازية غزت بما يعقب بعضها بعضا بالمعروف والقسط بين المسلمين، فإنه لا يجوز حرب إلا بإذن أهلها، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمه وأبيه، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على عدل وسواء» (٧٤).

في بادئ الأمر أراد اليهود استمالة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى جانبهم، بمعنى آخر: حاولوا ضم النبي (صلى الله عليه وآله) تحت السيادة اليهودية بزعمهم، وذلك نظراً للنفوذ الاقتصادي القوي الذي كان اليهود يتمتعون به، ولكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعمله هذا . إعلان الصحيفة . جعل اليهود وغيرهم من الأقليات تحت السيادة الإسلامية، وبعد أن وفر لهم الحماية أعطاهم كامل الحرية الدينية، سواء أرادوا البقاء على عقيدتهم، أم الدخول في الإسلام.

وهكذا استطاع (صلى الله عليه وآله) أن يبني مجتمعاً متماسكاً تسوده المحبة والأمان، وزرع لدى الإنسان المسلم شخصية فريدة من نوعها بين المجتمعات الأخرى. وبالإضافة إلى كل هذه الأعمال، ركز (صلى الله عليه وآله) على سد الثغرات، وتحصين المدينة المنورة بوجه الأعداء، وكذلك حث المسلمين على التدريب على الرماية وصناعة السيوف والرماح والدروع.. استعداداً للدفاع في قبال مخطط المشركين لمحاربة المسلمين والقضاء عليهم.

(٧٤) الكافي: ج ٥ ص ٣١ باب إعطاء الأمان ح ٥٥.

مرحلة نشر الدين الإسلامي

بعد أن اطمأن الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الحالة العامة التي وصل إليها المسلمون من إيمان وتقوى واستعداد دائم للجهاد في سبيل الله وما إلى ذلك، شرع في المرحلة الثانية من مهمته، وهي نشر الدين الإسلامي في أرجاء المعمورة، وهذه المرحلة هي هدف الرسالة. فالإسلام لا يقتصر على أهل المدينة فقط، أو أهل الطائف فقط، وإنما هو دين البشرية جمعاء، وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو مرسل إلى الناس كافة لينقذهم من الظلمات إلى النور.

كتبه (صلى الله عليه وآله) إلى الملوك والحكام

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٧٥)، فإن: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: للناس عامة، وكان تقديم ﴿كَافَّةً﴾ لإفادة أن الغرض المسوق له الكلام هو عموم الرسالة، وإنما ﴿كَافَّةً﴾ بمعنى عامة؛ لأنها إذا عمتهم فقد كفتهم^(٧٦).

وقال (صلى الله عليه وآله) في الآية: «بعثت إلى الأحمر والأسود والأبيض»^(٧٧).

وقال (صلى الله عليه وآله): «بعثت إلى الثقلين»^(٧٨).

وقد روي أنه: اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخاتم في المحرم ونقش عليه «محمد رسول الله» وكتب الملوك في شهر ربيع الأول، ونفذت كتبه ورسله إليهم يدعوهم للإسلام. وافتتح كتبه إليهم بـ«بسم الله الرحمن الرحيم»^(٧٩).

ولهذا أخذ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) يرسل الرسل إلى الملوك وزعماء القبائل

(٧٥) سورة سبأ: ٢٨.

(٧٦) تقريب القرآن إلى الأذهان: ج ٢٢ ص ٨١ سورة سبأ.

(٧٧) المناقب: ج ١ ص ٢٢٩ فصل في النكت والإشارات.

(٧٨) المصدر السابق.

(٧٩) انظر التنبيه والإشراف: ص ٢٢٥ ذكر السنة السادسة.

يدعوهم إلى الدخول في الإسلام^(٨٠) وينذرهم من العدول والصد عن نداء الحق بالحكمة والموعظة الحسنة.

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى كسرى ملك الفرس^(٨١)

أرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي إلى كسرى بن هرمز ملك الفرس ومن كان في سلطته بكتاب جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بداعية الله عزوجل، فيأني أنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الناس

(٨٠) اختلف المؤرخون في تأريخ بدء رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإرسال الكتب والمراسيل إلى الملوك وغيرهم، فمنهم من قال كان ذلك في سنة ست من الهجرة في ذي القعدة، وقيل في ذي الحجة، وقيل في سنة سبع، وقيل كان ذلك بين الحديبية وبين وفاته (صلى الله عليه وآله).

قال الطبري في (ج ٢ ص ٢٨٨ ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة): أنه كان في السنة السادسة، وفي (البداية والنهاية: ج ٤ ص ٢٩٨ سنة ثمان من الهجرة) وعن الواقدي قال: ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية.

وروى العلامة المجلسي في (م) فقال:

قال الكازروني في (المنتقى) في حوادث السنة السادسة: فيها اتخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخاتم، وذلك أنه قيل: إن الملوك لا يقرؤون كتابا إلا محتوماً. وفيها بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ستة نفر فخرجوا مصطحبين في ذي الحجة وهم: حاطب من أبي بلتعة إلى المقوقس (ملك الإسكندرية) ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر (ملك الروم)، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى (ملك فارس)، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي (ملك الحبشة) وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وسليط بن عمرو العامري إلى هودة بن علي النخعي. انظر بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٢ ب ٢١ ح ٨، وسفينة البحار: ج ١ ص ٣٧٦ مادة «ختم».

(٨١) كِسْرَى وَكُسْرَى جَمِيعاً بفتح الكاف وكسرها: اسم مَلِكِ الْفُرْسِ، مَعْرَبٌ، هُوَ بِالْفَارْسِيَةِ حُسْرُوْ أَيْ وَاسِعَ الْمَلِكِ فَعَرَّبَتْهُ الْعَرَبُ فَقَالَتْ: كِسْرَى؛ وَالْجَمْعُ أَكَاْسِرَةٌ وَكَسَابِرَةٌ وَكُسُورٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ لِأَنَّ قِيَاسَهُ كِسْرُوْنَ، بِفَتْحِ الرَّاءِ، مِثْلَ عَيْسُوْنَ وَمُوسُوْنَ، بِفَتْحِ السَّيْنِ، وَالنَّسَبُ إِلَيْهِ كِسْرِيٌّ، وَمِنْ مَلُوكِ الْفَرَسِ كَسْرَى وَشِيْرُوِيَه وَيَزْدَجْرَدٌ، وَهَمَّ آخِرَ مَلُوكِ الْفَرَسِ. وَقَدْ نَقَلَ أَنَّ شِيْرُوِيَه قَتَلَ أَبَاهُ كَسْرَى أَبْرُوِيَزَ بَعْدَ مَلِكِهِ ثَمَانِيَةَ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَأَشْهَرُ، فَقَامَ شِيْرُوِيَه مَقَامَهُ وَجَلَسَ مَكَانَهُ وَأَحْسَنَ سِيْرَتَهُ، وَأَطْلَقَ أَهْلَ السَّجُونَ وَزَوْجَ أَكْثَرِ نِسَاءِ أَبِيهِ، وَوَضَعَ عَنِ النَّاسِ رِبْعَ الْخَرَجِ، وَاسْتَوَزَرَ بِرَمَكِ بْنِ فَيْرُوَزِ جَدَّ الْبَرَامِكَةِ، مَاتَ بَعْدَ مَلِكِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ: ج ٥ ص ١٤٢ مادة «كسر»، ومجمع البحرين: ج ٣ ص ٤٧٣ «كسر».

كافة، لأنذر ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٨٢)، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن
إثم المجوس عليك». ^(٨٣)

فلما وصل إليه الكتاب مزقه واستخف به وقال: من هذا الذي يدعوني إلى دينه ويبدأ
باسمه قبل اسمي؟ وبعث إليه بتراب، فقال (صلى الله عليه وآله): «مزق الله ملكه كما مزق
كتابي، أما إنه ستمزقون ملكه، وبعث إلي بتراب، أما إنكم ستملكون أرضه» فكان كما
قال (صلى الله عليه وآله)^(٨٤).

وذكر أن كسرى كتب في الوقت إلى عامله باليمن (باذان) ويكنى أبا مهران: أن احمل
إلي هذا الذي يذكر أنه نبي، وبدأ باسمه قبل اسمي، ودعاني إلى غير ديني. فبعث إليه - إلى
رسول الله (صلى الله عليه وآله) - فيروز الديلمي في جماعة مع كتاب يذكر فيه ما كتب به
كسرى، فأتاه فيروز بمن معه، فقال له: إن كسرى أمرني أن أحملك إليه، فاستنظره ليلة.
فلما كان من الغد حضر فيروز مستحثاً، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «أخبرني ربي
أنه قتل ريك البارحة، سلط الله عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من الليل، فامسك حتى
يأتيك الخبر». فراع ذلك فيروز وهاله.
وعاد إلى باذان فأخبره، فقال له باذان: كيف وجدت نفسك حين دخلت عليه؟ فقال:
والله ما هبت أحداً كهيبة هذا الرجل. فوصل الخبر بقتله في تلك الليلة من تلك الساعة،
فأسلما جميعاً^(٨٥).

(٨٢) سورة يس: ٧٠.

(٨٣) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٩ ب ٢١ ضمن ح ٨. وفي المناقب أورد الكتاب هكذا: «من محمد رسول الله إلى
كسرى بن هرمز، أما بعد، فأسلم تسلم، وإلا فأذن بحرب من الله ورسوله والسلام على من اتبع الهدى»،
المناقب: ج ١ ص ٧٩ فصل في استجابة دعواته (صلى الله عليه وآله). وروي في بعض كتب التاريخ باختلاف
يسير في اللفظ.

(٨٤) المناقب: ج ١ ص ٧٩ فصل في استجابة دعواته (صلى الله عليه وآله).

(٨٥) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨١ ب ٢١ ضمن ح ٧. وفي رواية أخرى: أن كسرى كتب إلى باذان وهو على اليمن:
أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جلدتين فليأتياي به، وقيل: كتب إلى باذان بلغني أن في
أرضك رجلاً يتنبأ فاربطه وابعث به إلي، فبعث باذان قهرمانه وهو بانوبه وكان كاتباً حاسباً، وبعث معه برجل من
الفرس يقال له: خرخسك، فكتب معهما إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمره أن ينصرف معهما إلى
كسرى، وقال لبانوبه: ويلك انظر ما الرجل وكلمه وأتني بخبره، فخرجا حتى قدما المدينة على رسول الله (صلى الله

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى قيصر^(٨٦) عظيم الروم

وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر عظيم الروم بكتاب جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله عبده ورسوله إلى هرقل^(٨٧) عظيم الروم، وسلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، أسلم يؤتكَ الله أجرِكَ مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم اليريسين و ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ

عليه وآله) وكلمه بانوبه، وقال: إن شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنتقل معي، فإن فعلت كتبت فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك، وكانا قد دخلا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما، وقال (صلى الله عليه وآله): «ويلكما من أمركما بهذا؟» قالا: أمرنا بهذا ربنا، يعينان كسرى، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي» ثم قال لهما: «ارجعا حتى تأتياي غدا» وأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخبر من السماء أن الله عزوجل قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا لكذا وكذا من الليل، فلما أتيا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لهما: «إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعد ما مضى من الليل كذا وكذا، سلط عليه شيرويه فقتله». فقالا: هل تدري ما تقول، إننا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا، فنكتب بما عنك ونخبر الملك؟!.

قال (صلى الله عليه وآله): «نعم أخبراه ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخف الحافر، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك». ثم أعطى خرخسك منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبيا كما يقول، ولننظر ما قد قال، فلئن كان ما قد قال حقا، ما فيه كلام أنه نبي مرسل، وإن لم يكن فسندري فيه رأينا، فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد، فإني قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبا لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وأنظر الرجل الذي كان كسرى كتب إليه فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه. فلما انتهى كتاب شيرويه باذان قال: إن هذا الرجل لرسول، فأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن. انظر بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٩ ب ٢١ ضمن ح ٨.

(٨٦) قيصر كبيدر لقب هرقل ملك الروم، وبه يلقب كل من ملك الروم، انظر مجمع البحرين: ج ٣ ص ٤٦٠ «قصر». (٨٧) هرقل: كدمقس ودمشق أو: هرقل كزبرج وخنديف، ملك الروم، وهو أول من ضرب الدنانير وأول من أخذ البيعة، وقيل: هرقل عظيم الروم، ملك إحدى وثلاثين سنة، وفي ملكه توفي النبي (صلى الله عليه وآله)، انظر لسان العرب: ج ١١ ص ٦٩٤ مادة «هرقل».

سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ .

وقد ذكر أن هرقل بعث رجلاً من غسان وأمره أن يأتيه بخبر محمد (صلى الله عليه وآله)، وقال له: احفظ لي من أمره ثلاثاً: انظر على أي شيء تجده جالسا، ومن على يمينه، وإن استطعت أن تنظر إلى خاتم النبوة فافعل.

(٨٨) سورة آل عمران: ٦٤ .

(٨٩) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٦ ب ٢١ ضمن ح ٨، لعل نص كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي ورد في المتن هو أشهر النصوص، فقد اختلف المؤرخون في بعض ألفاظه، أما لفظ اليريسين فقد جاء مرة الأريسين وأخرى غير ذلك، وفي لسان العرب ذكر لها عدة معاني فقال: أرس: الإرس: الأصل، والأريس: الأكار؛ عن ثعلب. والإريس: الأمير؛ عن كراع، حكاه في باب فَعِيل، وَعَدَلَهُ بِإِيْلٍ، والأصل عنده فيه رَيْسٌ، على فَعِيلٍ، من الرِّيَاسَةِ. والمؤرِسُ: المؤمَّرُ فُقِلِبَ. وفي الحديث: أن النبي (صلى الله عليه وآله) كتب إلى هرقل عظيم الروم يدعوه إلى الإسلام وقال في آخره: «إِنْ أُبَيِّتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْإِرْيَسِينَ».

قال ابن الأعرابي: أرس يأرس أرساً إذا صار أريساً، وأرس يُؤرس تأريساً إذا صار أكاراً، وجمع الأريس أريسون، وجمع الإريس إريسون وأرارسة وأرارس، وأرارسة ينصرف، وأرارس لا ينصرف، وقيل: إنما قال ذلك لأن الأكارين كانوا عندهم من الفرس، وهم عبدة النار، فجعل عليه إثمهم.

وقال الأزهري: أحسب الأريس والإريس بمعنى الأكار من كلام أهل الشام، قال: وكان أهل السواد ومن هو على دين كبرى أهل فلاحه وإثارة للأرض، وكان أهل الروم أهل أثارٍ وصنعة، فكانوا يقولون للمجوسي: أريسي، نسبهم إلى الأريس وهو الأكار، وكانت العرب تسميهم الفلاحين، فأعلمهم النبي (صلى الله عليه وآله) أنهم وإن كانوا أهل كتاب فإن عليهم من الإثم إن لم يؤمنوا بنبوته مثل إثم المجوس وفلاح السواد الذين لا كتاب لهم، قال: ومن المجوس قوم لا يعبدون النار ويزعمون أنهم على دين إبراهيم (عليه السلام)، وأهم يعبدون الله تعالى ويحرمون الزنا وصناعتهم الحراثة ويُخرجون العُشْرَ مما يزرعون غير أنهم يأكلون المؤقودة، قال: وأحسبهم يسجدون للشمس، وكانوا يُدعَوْنَ الأريسين؛ قال ابن بري: ذكر أبو عبيدة وغيره أن الإريس الأكار فيكون المعنى أنه عبر بالأكارين عن الأتباع، ويقال: إن الإريس كبيرهم الذي يُمْتَلَأُ أمره ويطيعونه إذا طلب منهم الطاعة

فيكون المعنى في قول النبي (صلى الله عليه وآله) هرقل: «فعليك إثم الإريسين»، يريد الذين هم قادرون على هداية قومهم ثم لم يهدوهم، وأنت إريستهم الذي يجيبون دعوتك ويمتثلون أمرك، وإذا دعوتهم إلى أمر أطاعوك، فلو دعوتهم إلى الإسلام لأجابوك، فعليك إثم الإريسين الذين هم قادرون على هداية قومهم ثم لم يهدوهم، وذلك يُسَخِّطُ الله ويُعْظِمُ إثمهم. أو المعنى: عليك إثم الإريسين الذين هم داخلون في طاعتك ويجيبونك إذا دعوتهم ثم لم تدعهم إلى الإسلام، ولو دعوتهم لأجابوك، فعليك إثمهم لأنك سبب منعهم الإسلام ولو أمرتهم بالإسلام لأسلموا. وقال بعضهم: في رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية فجاء على النسب إليهم، وقيل: إنهم أتباع عبد الله بن أريس، رجل كان في الزمن الأول، قتلوا نبياً بعثه الله إليهم، وقيل: الإريسون الملوك، واحدهم إريس، وقيل: هم العشارون. انظر لسان العرب: ج ٦ ص ٤ مادة «أرس».

فخرج الغساني حتى أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فوجده جالسا على الأرض، ووجد علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن يمينه، وجعل رجله في ماء يفور، فقال: من هذا على يمينه؟ قيل: ابن عمه.

فكتب ذلك ونسي الغساني الثالثة. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «تعال، فانظر إلى ما أمرك به صاحبك». فنظر إلى خاتم النبوة، فانصرف الرسول. أي رسول الملك. إلى هرقل. قال: ما صنعت؟

قال: وجدته جالسا على الأرض والماء يفور تحت قدميه. ووجدت عليا ابن عمه عن يمينه، وأنسيت ما قلت لي في الخاتم، فدعاني فقال: «هلم إلى ما أمرك به صاحبك». فنظرت إلى خاتم النبوة.

فقال هرقل: هذا الذي بشر به عيسى بن مريم، إنه يركب البعير فاتبعوه وصدقوه. ثم قال للرسول: أخرج إلى أخي فأعرض عليه، فانه شريك في الملك. فقلت له: فما طاب نفسه عن ذهاب ملكه^(٩٠).

ورد قيصر دحية بن خليفة مكرما، وأهدى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) هدية وكتب إليه كتابا يعتذر فيه، فكتب: إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم: إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيرا لهم، ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك.

وجعل كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الديباج والحريز وجعله في سفظ، فلما وصل كتابه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يبقى ملكهم ما بقي كتابي عندهم»^(٩١).

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى المقوقس^(٩٢) ملك الإسكندرية

(٩٠) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ١٠٤ ب ١ فصل من روايات الخاصة.

(٩١) انظر تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٧٨ الأمراء على السرايا والجيوش.

(٩٢) المقوقس: بضم أوله وثانيه وكسر رابعه، هو جريح بن ميني، ومعنى المقوقس مطول البناء، وطائر مطوق سواده في بياض، وهو لقب لكل من ملك مصر والإسكندرية كفرعون وكسرى، كان المقوقس نصرانيا وملكا تابعا لملك

وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، بكتاب وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط^(٩٣)، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، واسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٩٤)»^(٩٥).

وقد روي أن المقوقس قال: إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، وسأنظر، ثم أخذ الكتاب وجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته.

وكان المقوقس قد دعا كاتبه الذي يكتب له بالعربية، فكتب إلى النبي (صلى الله عليه وآله): بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط: سلام عليك، أما

الروم ومنصوبا من قبله، انظر لسان العرب: ج ٦، ص ١٧٩ مادة «ققس» والقاموس المحيط: ج ٢، ص ٢٤١ القاف.

(٩٣) القبط بكسر القاف وسكون الباء الموحدة، هم سكان مصر الأصليون الذين ظلوا محتفظين بلغتهم القومية في مختلف لهجاتها، وهم مسيحيون أبناء الكنيسة المصرية القومية، والأقباط اليوم فرعان: الأرثوذكس والكاثوليك، ولغتهم اللغة القبطية هي اللغة المصرية القديمة التي استعملها الفراعنة وهي فرع من اللغات الحاقية، تفرعت إلى لهجات أهمها الصعيدية والبحيرية والفيومية. وبلاد القبط بالديار المصرية سميت بالجبل، والأقباط نسبوا إلى قبط بن قرط بن حام بطن من حمير، وليسوا من بني إسرائيل، انظر معجم البلدان: ج ٤، ص ٣٠٦ باب القاف والباء وما يليهما.

(٩٤) سورة آل عمران: ٦٤.

(٩٥) انظر بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ٣٨٣ ب ٢١ ضمن ح ٨، ط ٢ مؤسسة الوفاء بيروت - لبنان. وقد ورد الكتاب بغير هذا اللفظ في بعض المصادر الأخرى، وقيل بأنه كتاب ثان من رسول الله (صلى الله عليه وآله) للمقوقس وجاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى صاحب مصر: أما بعد، فإن الله أرسلني رسولا، وأنزل علي كتاباً قرآناً مبيناً، وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار، حتى يدينوا بيديني ويدخل الناس فيه، وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانيته تعالى، فإن فعلت سعدت وإن أبيت شقيت والسلام». انظر فتوح الشام: ج ٢، ص ٣٩.

بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك^(٩٦).

وقال حاطب: كان المقوقس لي مكرما في الضيافة وقلة اللبث ببابه، وما أقمت عنده إلا خمسة أيام ودفع له مائة دينار وخمسة أثواب^(٩٧).

وقد روي أن المقوقس قال لحاطب^(٩٨): القبط لا يطاوعوني في اتباعه ولا أحب أن تعلم بمجاورتي إياك، وأنا أظن بملكي أن أفارقه، وسيظهر على البلاد.

(٩٦) وروي الكتاب بصيغة أخرى هي: (باسمك اللهم، من المقوقس إلى محمد: أما بعد، فقد بلغني كتابك وقرأته وفهمت ما فيه، أنت تقول: إن الله تعالى أرسلك رسولاً وفضلك تفضيلاً، وأنزل عليك قرآناً مبيناً، فكشفنا يا محمد في علمنا عن خبرك فوجدناك أقرب داع دعا إلى الله وأصدق من تكلم بالصدق، ولولا أني ملكت عظيما لكنت أول من سار إليك لعلمي أنك خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وإمام المتقين). انظر نصب الراية، والمنظم، وفتوح مصر للواقدي، وصبح الأعشى، وغيرها، وراجع مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله): ج ٢ ص ٤٢٢ كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى المقوقس.

(٩٧) انظر بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٢ ب ٢١ ح ٨. وروي: أنه أهدى إلى النبي (صلى الله عليه وآله) هدايا كثيرة، كان منها: مارية أم إبراهيم (عليه السلام) ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وجارية أخرى اسمها سيرين أخت مارية، وجارية أخرى اسمها قيسر أو قيس، وهي أخت مارية أيضا، وجارية أخرى سوداء اسمها بريرة، وغلاما خصباً أسود اسمه مأبور، وبغلة شهباء، وهي دلل، وحماراً أشهب يقال له: يعفور، وقيل: وألف دينار وعشرين ثوباً، وقيل: وألف مثقال ذهباً، وفرساً وهو اللزاز، وعسلا من عسل نبها (قرية من قرى مصر)، وأهدى إليه مكحلة، ومربعة يوضع فيها المكحلة، وقارورة دهن، والمقص (وهو المقرض) والمسواك والمشط ومرآة، وقيل: أهدى أيضا عمائم وقباطي وطيبا وعوداً ومسكا مع ألف مثقال من ذهب مع قده من قوارير، وخفين ساذجين أسودين، وقال بعض: إنه أرسل مع الهدايا طبيبا يداوي مرض المسلمين، وقيل: أهدى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أربع جوار منهن مارية أم إبراهيم □، وأختها سيرين، وحماراً يقال له: عفير، وقيل: يعفور، وبغلة يقال لها: الدل، ولم يسلم، فقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واصطفى مارية لنفسه ووهب أختها لأحد المسلمين.

(٩٨) حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير بن سلمة بن صععب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى، ويقال إنه حالف الزبير، وقيل: كان مولى عبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد فكاتبه فأدى مكاتبته، شهد بدرا، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا محمد من بني خالفة بطن من لحم، وقيل: إنه من مذحج، بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المقوقس ثم أرسله عمر أيضا إليه، فيه نزل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثُلُوفًا لِيُؤْتُوا إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ ﴾ سورة الممتحنة: ١. انظر تفسير فرات الكوفي: ص ٤٨٠ سورة الممتحنة ح ٦٢٥.

وبعث معه جيشا إلى أن دخل جزيرة العرب ووجد قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفق بالقافلة.

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى النجاشي^(٩٩)

وأرسل (صلى الله عليه وآله) عمرو بن أمية الضميري إلى النجاشي ملك الحبشة بكتاب وفيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، إني أحمد إليك الله، الملك القدوس السلام المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾^(١٠٠) البتول الطيبة فحملت بعيسى، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، فإن تبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا و معه نفر من المسلمين، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى»^(١٠١).

فكتب النجاشي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) جواب كتابه (صلى الله عليه وآله)

وفيه:

(٩٩) نجش: نَجَشَ الحديثَ يَنْجُشُهُ نَجْشًا: أذاعه. و نَجَشَ الصيدَ وكلَّ شيءٍ مستورٍ يَنْجُشُهُ نَجْشًا: استناره واستخرجه. والنَّجَاشِيُّ: المستخرجُ للنَّشِيءِ؛ عن أبي عبيد، وقال الأَخْفَشُ: هو النَّجَاشِيُّ والنَّجَاشِيُّ الذي يُبْرِئُ الصيدَ لِيَمُرَّ على الصَّيَادِ. والنَّجَاشِيُّ: الذي يُخَوِّشُ الصيدَ. والنَّجَاشِيُّ والنَّجَاشِيُّ: كلمةٌ للحَبَشِ تُسَمَّى بها ملوكها: قال ابن قتيبة: هو بالنَّبَطِيَّةِ أَصْحَمَةُ أَيَّ عَطِيَّةِ. الجوهري: النَّجَاشِيُّ، بالفتح، اسم ملك الحبشة، وورد ذكره في الحديث في غير موضع؛ قال ابن الأثير: والياء مشددة، قال: وقيل الصواب تخفيفها. انظر لسان العرب: ج ٦ ص ٣٥١ «نجش»
(١٠٠) سورة النساء: ١٧١.

(١٠١) انظر بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩١ ب ٢١ ضمن ح ٨. وفي إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٤٥ الركن الأول ب ٣ ف ٤. ورد نص كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) باختلاف يسير في اللفظ، وقد جاء فيه: «بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحمة ملك الحبشة، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله، الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وأني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بي وبالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجير؛ فإني أدعوك وجنودك إلى الله، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا، والسلام على من اتبع الهدى». وذكر الطبري نصًا آخر لكتابه (صلى الله عليه وآله) إلى النجاشي في تاريخه: ج ٢ ص ٢٩٤، باختلاف يسير في اللفظ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إلى محمد رسول الله من النجاشي، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام. أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا^(١٠٢) إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقدم ابن عمك وأصحابك، وأشهد أنك رسول الله، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا نبي الله، فإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وذكر أنه بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة حتى إذا توسطوا البحر غرقت بهم السفينة فهلكوا^(١٠٣).

وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتب كتاباً للنجاشي فقال (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «اكتب جواباً وأوجز» فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فكأنك من الرقة علينا منا، وكأنا من الثقة بك منك؛ لأننا لا نرجو شيئاً منك إلا لنناه، ولا نخاف منك أمراً إلا أمناه، وبالله التوفيق».

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «الحمد لله الذي جعل من أهلي مثلك، وشد أزري بك»^(١٠٤).

(١٠٢) الثفروق: قمع البسرة والتمرة، وقيل: الثفروق هو ما يلزق به القمع من التمرة، وقيل: الثفاريق أقماع البسر والثفروق علاقة ما بين النواة والقمع، وقيل: الثفروق غلاف ما بين النواة والقمع، لسان العرب: ج ١٠ ص ٣٤ مادة «ثفروق».

(١٠٣) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩٢ ب ٢١ ح ٨، وفيه ذكر الواقدي: كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى النجاشي كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوضعه على عينه، ونزل من سريره، ثم جلس على الأرض تواضعا، ثم أسلم وشهد شهادته الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتية لآتينه، وكتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإجابته وتصديقه وإسلامه على يد جعفر بن أبي طالب. وفي الكتاب الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسدي، فتنصر هناك، ومات، وأمره في الكتاب أن يبعث إليه بمن قبله من أصحابه. ففعل ذلك. وفي إعلام الوري: ص ٤٥ الركن الأول ب ٤ ف ٤ ورد رد النجاشي باختلاف يسير في اللفظ. وهذه الأخبار دالة على أن النجاشي هو الذي كانت الهجرة إلى أرضه، وروي أنه غير ذلك. وقد وقع اختلاف في شخص النجاشي الذي كتب إليه النبي (صلى الله عليه وآله) سنة ست أو سبع أو في غيرها، وفي نص الكتاب الذي كتب إليه، لا مجال لذكره هنا، ومن أراد الاستزادة فليراجع كتاب مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله) لعلي حسين علي الأحمد.

(١٠٤) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩٧ ب ٢١ ح ١٠.

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى ملك اليمامة (١٠٥)

وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) سليط بن عمرو (١٠٦) إلى ملك اليمامة هوزة بن علي الحنفي (١٠٧) يدعوه إلى الإسلام، وجاء في رسالته:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هوزة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك».

فلما أتاه سليط بن عمرو أرسل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وفداً فيهم جماعة بن مرارة والرجال بن عنقوة يقول له: إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره، وإلا قصد حربه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا ولا كرامة، اللهم اكفنيه» فمات بعد

(١٠٥) اليمامة: منقول عن اسم طائر يقال له: اليمام واحدته يمامة، واختلف فيه، واليمامة في الإقليم الثاني، طولها من جهة المغرب إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها من جهة الجنوب إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وفي كتاب العزيزي: إنها في الإقليم الثالث، وعرضها خمس وثلاثون درجة، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة جوا والعروض، بفتح العين، وكان اسمها قديماً جوا فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم، وهي التي اشتهرت بزقاء اليمامة وكانت صاحبة بصر قوي حتى أصبحت مضرب الأمثال في قوة بصرها، وروي أن تبع أمر بقلع عينيها وصلبها على باب جوا وأن تسمى باسمها، فسميت باسمها إلى الآن، وذلك عندما فتح الحصن الذي كانت فيه. في قصة مفصلة.، وقال تبع يذكر ذلك:

وسميت جوا باليمامة بعدما تركت عيوننا باليمامة هملاً

نزعت بها عيني فتاة بصيرة رغاماً ولم أحفل بذلك محفلاً

إلى أن قال:

فلا تدع جوما بقيت باسمها ولكنها تدعى اليمامة مقبلاً

قالوا: وخربت اليمامة من يومئذ؛ لأن تبعاً قتل أهلها وسار عنها ولم يخلف بها أحداً فلم تنزل على ذلك حتى وقت طويل. انظر معجم البلدان: ج ٥ ص ٤٤١ باب الباء والميم وما يليهما.

(١٠٦) سليط بن عمرو بن شمس العامري أخو سهيل بن عمرو، أسلم قديماً قبل عمرو وهاجر إلى الحبشة مع زوجته، ثم رجع إلى المدينة وشهد بدرًا.

(١٠٧) هوزة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل صاحب اليمامة، شاعر بني حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام، كان حليفاً لكسرى وحافظاً لمصالحه، وهو الذي توجه كسرى، وكان نصرانياً، وهو من أهل قران بضم القاف وتشديد الراء من قرى اليمامة، وقيل غير ذلك. وكان ممن يزور كسرى في المهمات. ويقال له: ذو التاج، فقد روي: أنه دخل على كسرى، فأعجب به ودعا بعقد من در، فعقد على رأسه، فسمي ذا التاج، وقيل: إنما كانت خرزات تنظم له، انظر الأعلام: ج ٨ ص ١٠٢ «هوزة بن علي».

قليل (١٠٨).

وروي أن هوزة بن علي ملك اليمامة كتب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتابا جاء فيه: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك. ثم أجاز سليطا بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر (١٠٩). وقيل: إن هوزة أهدى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) غلاما اسمه: كركرة (١١٠).

كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى ملك عمان (١١١)

وكتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتابا إلى جيفر وعبد ابني الجلندي وكانا على ملك عمان، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام، فإنه زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما».

وكان (صلى الله عليه وآله) قال عندما أرسل رسوله إلى أهل عمان: «أما إنهم سيقبلون كتابي ويصدقوني ويسألكم ابن الجلندي هل بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) معكم بهدية، فقولوا: لا، فسيقول: لو كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث معكم بهدية لكانت مثل المائة التي نزلت على بني إسرائيل وعلى المسيح (١١٢).

الخلاصة

ظهر مما سبق أن بعض هؤلاء آمن برسالة النبي (صلى الله عليه وآله) مثل النجاشي ملك

(١٠٨) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩٤ ب ٢١ ح ٨.

(١٠٩) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩٤ ب ٢١ ح ٨.

(١١٠) إعلام الوری بأعلام الهدى: ص ١٤٦ الركن الأول ب ٥ ف ٤.

(١١١) عمان: بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره نون، كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند في شرقي هجر تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع، إلا أن حرها يضرب به المثل، قيل: سميت بعمان بن سبأ بن يفتان بن ابراهيم خليل الرحمن لأنه بنى مدينة عمان، انظر معجم البلدان: ج ٤ ص ١٥٠ باب العين والميم وما يليهما.

(١١٢) انظر بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٣٨ باب ١١ ح ٣٩، وج ٢١ ص ١٨٤ ب ٢٨ ح ٢٢.

الحبشة، وحاكم اليمامة، وحاكم عمان، وهرقل ملك الروم. والبعض الآخر رد رداً مناسباً مثل المقوقس، حيث أرسل رسالة جوابية إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ومعها هدية، فقبل النبي (صلى الله عليه وآله) هديته. أما البعض الآخر فكان رده سلبياً مثل كسرى ملك الفرس، حيث مزق رسالة النبي (صلى الله عليه وآله) وأهان رسوله، كما جاء في كتب الأخبار^(١١٣). وما يهمنا هنا هو ليس تدوين الوقائع، بل الاستشهاد بها، لكي نعلم بأن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) لم يضع يداً على الأخرى في الهجرة و ينتظر الفرج، بل جاهد جهاداً لا هوادة فيه، وروّض الظروف الصعبة التي مرت به، ووظفها لصالح التبليغ الديني، وهذا هو الدرس المهم الذي نريد أن نستفيد من حديثنا عن هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) والمسلمين الأوائل وكيفية تعاملهم مع الظروف التي تواجههم في الهجرة، وتطبيقها على حياتنا اليومية، خاصة وأن عالمنا الإسلامي اليوم . ونتيجة الظروف التي أوجدها الأعداء، وبعض العوامل الأخرى . يعيش كثير من أبنائه في المهجر، إما مهاجرين أو مهجّرين. ونتعرف أيضاً على طريقة مقاومة هذه الظروف لتحويل الهجرة إلى نصر نحقق فيه أهدافنا الإسلامية.

(١١٣) انظر أعيان الشيعة: ج ١٠ ص ٢٤٣-٢٤٤.

من دروس الهجرة

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «رحم الله امرأً تفكر فاعتبر وأعتبر فأبصر»^(١١٤).
وقال (عليه السلام): «إن في كل شيء موعظة وعبرة لذوي اللب والاعتبار»^(١١٥).
تعد الهجرة لو استفيد منها مدرسة لإعداد المجاهدين، وفي الوقت نفسه هي محل اختبار للإنسان. إن في الهجرة دروساً وعبراً كثيرة وعلى الإنسان المسلم الذي اضطرت الظروف إلى التغرب عن بلده أن يستفيد منها ويصطبها في صالح دينه ومجتمعه، ونحاول هنا باختصار أن نذكر ببعض الأمور، التي ينبغي على الإنسان المسلم المهجر، أو المهاجر العمل بها:
أولاً: التمسك بجبل الله تعالى.

قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾^(١١٦).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «أوحى الله عزوجل إلى داود: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأي واد هلك»^(١١٧).

على الإنسان المسلم أن يتوجه بكل إحساسه إلى الله تعالى، ويؤمن إيماناً مطلقاً بأن الله سبحانه وتعالى بيده كل شيء، وهو عز وجل يراقب كل حركاته وسكناته، وعلى المؤمن أن يحسب هجرته وجميع أعماله في سبيل الله، ولا يخرجها من هذا الإطار.
ثانياً: الصبر.

قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١٨).

(١١٤) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧١ ق ٦ ب ٦ الفصل ١ ج ١٠٧٤٨.

(١١٥) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٢ ق ٦ ب ٦ الفصل ١ ح ١٠٧٧٠.

(١١٦) سورة آل عمران: ١٠٣.

(١١٧) الكافي: ج ٢ ص ٦٣ باب التفويض الله تعالى ح ١.

(١١٨) سورة النحل: ٩٦.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الصبر على مريض الغصص يوجب الظفر بالفرص» (١١٩).

إن الإنسان المهاجر أو المهجر سوف يتعرض عادة إلى مضايقات ومشاكل كثيرة، سواء كان فيما يتعلق بعمله الجهادي، أو فيما يتعلق بمعيشته وما يترتب عليها. فهنا يحتاج إلى قلب صبور، يتحمل الاخفاق والعوز، لكي يتغلب على الظروف، بل لا بد له أن يخلق الظروف المناسبة، كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فعندما هاجر هو وسائر المسلمين إلى المدينة، في بادئ الأمر كانت الظروف المحيطة به (صلى الله عليه وآله) صعبة جداً، من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك من جهة العدو وقوته وغيرها من المضايقات. ولكن صبر الرسول (صلى الله عليه وآله) وإيمانه القوي وكذلك كان المسلمون.. غير كل هذه الظروف، وروّضها لصالح الإسلام، فالصبر عامل مهم في حسم النتيجة نحو الأفضل. كما قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «الصبر أعون شيء على الدهر» (١٢٠).

ثالثاً: اختيار المكان المناسب.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « ليس بلد أحق بك من بلد، خير البلاد ما حملك » (١٢١).

وقال (عليه السلام): « شر الأوطان ما لم يأمن في القطان » (١٢٢).

فإن الإنسان المسلم المهاجر في سبيل الله تعالى عليه أن يختار المكان المناسب لهجرته، كما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فالشخص الذي يهاجر من بلد يخاف فيها على دينه، أو عرضه، أو نفسه، أو ماله، إلى بلد آخر لا يحفظ له هذه الحقوق، فإن النتائج ربما تكون أسوأ؛ لأنه بالإضافة إلى ضياع حقوقه، فإنه سوف يبتلى بالغرابة وأمثالها. بينما إذا اختار البلد المناسب فإنه ربما يعاني من الغربة ومشاكلها، إلا أنه سوف يحفظ بعض حقوقه على الأقل، كالنفس والعرض والمال مثلاً.

(١١٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٣ ق ٣ ب ٢ الفصل ٧ ح ٦٣١٤.

(١٢٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٠ ق ٣ ب ٢ الفصل ٧ ح ٦٢٢٤.

(١٢١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٣٣٥ ق ٤ ب ١ الفصل ٥ ح ٧٧٢٠.

(١٢٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٤٧ ق ٦ ب ٤ الفصل ٧ ح ١٠٢٥٦.

كلمة أخيرة

يعيش عالمنا الإسلامي اليوم في صراعات مدمرة أثارها الأعداء بتخطيط مسبق، حتى لا يتفرغ الإنسان المؤمن لهدفه الأسمى، وهو نشر الإسلام، فأججوا الحروب هنا وهناك في عالمنا الإسلامي: في لبنان، وأفغانستان، والعراق، ومصر، والجزائر وتونس، وكشمير، وغيرها (١٢٣).

وكذلك عملوا على زرع الخلافات السياسية والدينية بين شعوبنا الإسلامية.

وكذلك نصبوا على بلادنا الحكام العملاء الظلمة، فتسلطوا على رقاب المسلمين، ونهبوا خيراتهم، ومارسوا بحقهم أبشع أنواع الجرائم والكبت ومصادرة الحريات والاعتقال والتعذيب، فنتج من هذا وغيره ملايين المشردين، بل الأكثر من ذلك.

إن الأعداء لم يكتفوا بتشريد هؤلاء، بل عملوا على تشديد الخناق، وضيقوا عليهم سبل العيش بشتى أنواع المضايقات، كما فعل أعداء الإسلام بالمسلمين الأوائل، ولكن في ذلك الوقت استطاع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يحبط جميع مخططات الأعداء، وذلك بإيجاد الحلول المناسبة لها فتمكن (صلى الله عليه وآله) بذلك من حفظ المسلمين ونشر الرسالة.

لذا فاللازم علينا أن نتهدي بسيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين □ والمسلمين الأوائل، في كيفية التعامل مع الأعداء، ومع الظروف التي عاشوها في المهجر

(١٢٣) يشير (أعلى الله درجاته) إلى الأحداث التي كانت جارية عام (١٤٠٨ هـ) تاريخ إلقائه هذه المحاضرة، حيث كانت تعصف بلبنان الحروب الداخلية وبرز جزء كبير منه تحت الاحتلال الصهيوني، وأفغانستان وما تعانيه من الحرب الأهلية والطائفية المدمرة بين أفراد الشعب الواحد إضافة للاحتلال السوفيتي لها، مما نجم عنه خسائر هائلة بالأرواح والأموال والطاقت، أما العراق الجريح الذي هو من المهموم الكبرى للأمام الراحل P فيعاني ومنذ عام (١٩٦٨ م) أي بعد انقلاب (١٧ تموز) المشؤوم من أسوأ نظام مر على تاريخ هذا البلد؛ حيث أدخل البلد في حربين شرستين: الأولى عندما شن النظام حربه على جارة العراق الشرقية إيران واستمرت الحرب ما يزيد على ثمان سنوات، تكبد خلالها الشعبين المسلمين مئات الآلاف من القتلى مضافاً إلى مئات الآلاف من الأسرى والمشردين وجيش من اليتامى والأرامل، والحرب الثانية أقدمه على احتلال دولة الكويت فسببت للعراق وللعالم الإسلامي أقسى الخسائر والمصائب

والاستفادة من تجاربهم التي مروا بها فنوظفها لصالح الأمة؛ حتى نتجاوز المحنة فنوفق لخدمة هذا الدين الحق.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (١٢٤).

فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) خطط وأعد المسلمين فكرياً وعسكرياً، في سبيل تجاوز المحن، والظفر في عمله، فباشر أولاً بتثبيت كيان المسلمين في المهجر، وإعدادهم تعبويًا ونفسيًا، ومن ثم قام بنشر الدين في الآفاق، فعلينا أن نستفيد من هذا الدرس العظيم ونقوم بمراجعة تفاصيله مراجعة دقيقة، مبنية على أساس التجارب والعبر، وبطرق علمية سليمة، وندرس جميع الظروف المحيطة بنا، سواء كان في طرفنا أو في الطرف الآخر، حتى نرزق النصر إن شاء الله تعالى.

«اللهم إني أسألك بنور وجهك المشرق الحي الباقي الكريم، وأسألك بنور وجهك القدّوس، الذي أشرقت به السماوات وانكشفت به الظلمات، وصلح عليه الأولون والآخرون، أن تصلي على محمد وآله وأن تصلح لي شأني كله» (١٢٥).

(١٢٤) سورة الأحزاب: ٢١.

(١٢٥) البلد الأمين: ص ١٤٦ فقرة من أدعية الساعات.

من هدي القرآن الحكيم

١ . الإيمان والهجرة:

قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢٦).

وقال عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٢٧).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآغَمَا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١٢٨).

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١٢٩).

وقال جل وعلا: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٣٠).

٢ . تعلم الصبر:

قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٣١).

وقال عزوجل: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ

١٢٦) سورة التوبة: ١٠٠.

١٢٧) سورة النحل: ٤١.

١٢٨) سورة النساء: ١٠٠.

١٢٩) سورة الحج: ٥٨.

١٣٠) سورة الحشر: ٨.

١٣١) سورة البقرة: ١٧٧.

نَصْرُنَا ﴿١٣٢﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُوكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٣٣).

وقال جل وعلا: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤).

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٣٥).

وقال عزوجل: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٣٦).

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٣٧).

٣. نشر الدعوة الإسلامية:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٨).

وقال عزوجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٩).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٤٠).

٤. الثبات على المبدأ:

قال جل وعلا: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ

(١٣٢) سورة الأنعام: ٣٤.

(١٣٣) سورة يونس: ١٠٩.

(١٣٤) سورة هود: ١١٥.

(١٣٥) سورة لقمان: ١٧.

(١٣٦) سورة النحل: ١٢٧.

(١٣٧) سورة الزمر: ١٠.

(١٣٨) سورة سبأ: ٢٨.

(١٣٩) سورة الحجر: ٩٤.

(١٤٠) سورة التوبة: ١٢٢.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٤١﴾.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٤٢).

وقال عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ (١٤٣).

(١٤١) سورة الأحزاب: ٢٣.

(١٤٢) سورة آل عمران: ١٧٣.

(١٤٣) سورة الأنفال: ١٥.

من هدي السنة المطهرة

١ . الإيمان والهجرة:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً من الأرض، استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وآلهما -» (١٤٤).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا عصي الله في أرض أنت فيها فأخرج منها إلى غيرها» (١٤٥).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «...ومن دخل في الإسلام طوعاً فهو مهاجر» (١٤٦).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «... والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله» (١٤٧).

٢ . تعلم الصبر:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): « ثلاث من كن فيه فقد رزق خير الدنيا والآخرة هن: الرضا بالقضاء، والصبر على البلاء، والشكر في الرخاء» (١٤٨).

وقال (عليه السلام): «الصبر عنوان النصر» (١٤٩).

وقال (عليه السلام): «بالصبر تدرك معالي الأمور» (١٥٠).

وقال (عليه السلام): «من صبر فنفسه وقر، وبالثواب ظفر، ولله سبحانه أطاع» (١٥١).

وقال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد،

(١٤٤) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣١ ب ٦.

(١٤٥) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣٥ ب ٦.

(١٤٦) الكافي: ج ٨ ص ١٤٨ ح ١٢٦.

(١٤٧) وسائل الشيعة: ج ١٢ ص ٢٧٨ ب ١٥٢ ضمن ح ١٦٣٠٠.

(١٤٨) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٢ ق ٣ ب ٢ الفصل ٧ ح ٦٢٨٣.

(١٤٩) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٣ ق ٣ ب ٢ الفصل ٧ ح ٦٣١٣.

(١٥٠) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٣ ق ٣ الفصل ٧ ح ٦٣١٧.

(١٥١) غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٢٨٣ ق ٣ الفصل ٧ ح ٦٣٢٦.

ولا إيمان لمن لا صبر له» (١٥٢).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «يا حفص إن من صبر صبر قليلاً، وإن من جزع جزع قليلاً . ثم قال: . عليك بالصبر في جميع أمورك. فان الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) فأمره بالصبر..» (١٥٣).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «من لا يعد الصبر لنواب الدهر يعجز» (١٥٤).

٣. نشر الدعوة الإسلامية:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) . في سبب تسميته بالداعي .: «وأما الداعي، فأني أدعو الناس إلى دين ربي عزوجل» (١٥٥).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «فبعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته بقرآن قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه» (١٥٦).

ومن كتاب النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أهالي نجران:

«بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران، إن أسلمتم فأني أحمد إليكم الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد فأني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد..» (١٥٧).

وقال الإمام أبو جعفر (عليه السلام) في رسالته إلى بعض حكام بني أمية: «ومن ذلك ما ضيع الجهاد الذي فضله الله عزوجل على الأعمال.. اشترط عليهم فيه حفظ الحدود، وأول ذلك الدعاء إلى طاعة الله من طاعة العباد، وإلى عبادة الله من عبادة العباد..» (١٥٨).

٤. الثبات على المبدأ:

(١٥٢) الكافي: ج ٢ ص ٨٩ باب الصبر ح ٤.

(١٥٣) الكافي: ج ٢ ص ٨٨ باب الصبر ح ٣.

(١٥٤) الكافي: ج ٢ ص ٩٣ باب الصبر ح ٢٤.

(١٥٥) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٩٤ ب ٦ ضمن ح ٢٨.

(١٥٦) نهج البلاغة، الخطب: ١٤٧.

(١٥٧) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨٥ ب ٣٢.

(١٥٨) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٢ ب ١ ح ١٩٩٠٨.

لما أظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الدعوة بمكة اجتمعت قريش إلى أبي طالب (عليه السلام) فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سفه أحلامنا.. فإن كان الذي يحمل على ذلك العدم جمعنا له مالاً حتى يكون أغنى رجل في قريش وملكه علينا، فأخبر أبو طالب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بذلك فقال: «لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري ما أردته»^(١٥٩).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دعا إلى طاعته، وقاهر أعداءه جهاداً عن دينه، لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه، والتماس لإطفاء نوره»^(١٦٠).

وقال الإمام الحسين (عليه السلام): «لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد»^(١٦١).

(١٥٩) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٨٢ ب ١ ح ١٢.

(١٦٠) نهج البلاغة، الخطب: ١٩٠.

(١٦١) إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ٢٤٢ الركن الثالث ب ٢ ف ٤.

إصدارات جديدة

- العراق ما بعد صدام
- إلى المجاهدين في العراق
- الشيعة والحكم في العراق
- إذا قام الإسلام في العراق
- محنة العراق
- وصايا إلى الكوادر العراقية
- كيف ولماذا أخرجنا من العراق
- عشت في كربلاء
- التهجير جنابة العصر
- حكم الإسلام بعد نجاة العراق وأفغان
- كفاحنا
- جمع الكلمة وتعدد الأحزاب
- إحياء الشعائر
- الإصلاح
- التيار الإصلاحية
- استفتاءات حول السياسة الإسلامية
- حكم الإسلام.. مبادئ قيامه، ماهيته، أهدافه
- عاشوراء والعودة إلى الإسلام
- إلى الحوزات العلمية
- المسلم
- اللاعنفي في الإسلام
- اللاعنفي منهج وسلوك

- الحسين (عليه السلام) مصباح الهدى
- مقومات رجل الدين
- فقه العولمة
- من كرامات الأولياء
- تفسير تبيين القرآن
- كيف نزوج العازبات
- لماذا الكوارث
- الإمام زين العابدين (عليه السلام) قدوة الصالحين
- الوصايا الأخيرة
- الشيعة والتشيع
- الأخلاق الإسلامية
- الأقصى المبارك
- العدالة الإسلامية
- تجارب في المنبر
- البقيع الغرقد

الفهرس

كلمة الناشر	٣
المقدمة	٦
مدرسة الهجرة	٩
الهجرة وتقسيماتها	١١
من أسباب الهجرة	١١
المسلمون الأوائل وقريش	١٢
صحيفة قريش	١٥
لماذا الحبشة؟	٢١
موقف قريش من الهجرة	٢٢
سفر قريش إلى ملك الحبشة	٢٣
رواية أخرى في قصة الهجرة	٢٦
أبو طالب (عليه السلام) كافل النبي (صلى الله عليه وآله) والرسالة	٢٩
وفاة أبي طالب (عليه السلام)	٣٨
رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الطائف	٣٨
الرجوع إلى مكة	٤١
الفترة الحرجة	٤٣
بارقة الأمل	٤٣
لماذا المدينة المنورة؟	٤٨
بيعة الأنصار الأولى والثانية	٥١
مؤامرة قتل الرسول (صلى الله عليه وآله)	٥٤
المدينة المنورة والهجرة	٥٥
مرحلة التثبيت والبناء	٥٦
مرحلة نشر الدين الإسلامي	٦٠

- ٦٠ كتبه (صلى الله عليه وآله) إلى الملوك والحكام
- ٦١ كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى كسرى ملك الفرس
- ٦٣ كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى قيصر عظيم الروم
- ٦٥ كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى المقوقس ملك الإسكندرية
- ٦٨ كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى النجاشي
- ٧٠ كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى ملك اليمامة
- ٧١ كتابه (صلى الله عليه وآله) إلى ملك عمان
- ٧٣ من دروس الهجرة
- ٧٥ كلمة أخيرة
- ٧٧ من هدي القرآن الحكيم
- ٨٠ من هدي السنة المطهرة
- ٨٥ الفهرس

رجوع إلى القائمة